



# أسنان في الأرب العري لمؤسستنا





سَيِّدُ الْوَسْطَانِ



الدكتور محمد راجوادی

أَسَانِدَةُ الْعَرَبِ الْمَوْسُونِ





الطبعة الأولى

2020 - 1442

ISBN 978-625-7682-13-8



نسجد لله شكراً، ونحن نقدم اليوم هذا الكتاب الذي يستضيء بستة نماذج مضيئة لما يمكن أن يسمى بأستاذية الأدب التأسيسية، ويمثل كتابنا هذا حلقة من دراساتنا لتاريخ مؤرخي الأدب إذ نستكمل به ما كنا قد بدأناه منذ ثلاثين عاماً من حديث متشعب عن جهود الأساتذة طه حسين وأحمد أمين وهو ما قدمناه في أكثر من عمل من أعمالنا وأصبح كغيره من أعمالنا الموازية في حاجة ماسة إلى أن تعاد صياغته وتقديمه في نسج مؤتلف، نرجو الله أن يوفقنا إليه وأن يمد في عمرنا ويمنحنا القدرة على إنجازه. ونستبق بهذا الكتاب ما نؤمل أن يوفقنا الله إليه من نشر أجزاء موسوعتنا التي تتضمن حديثنا عن أساتذة الأدب المؤثرين الذين قدر لهم أن يضعوا بصمتهم في الفكر المعاصر والحياة العقلية، وهي موسوعة مبسطة نشرنا كثيراً من فصولها على مدى سنوات ممتدة.

وفقنا الله سبحانه وتعالى أن نقدم من خلال هذه النماذج رؤية مختلفة عن الشائع لكنها تعبر عما نؤمن به من القيمة العالية لهذه الأستاذية في الحياة الجامعية والأكاديمية، وهو إيمان يزيد في حجمه على حجم إيمان أصحاب هذه الأستاذية أنفسهم بما هو معروف عنهم مما أصابهم به المجتمع من ظلم جمع عليهم قبل غيرهم مزيجاً مركزاً من لجوء العلماء للتحفظ، وشعور المفكرين بالقهر، وإحساس الأدباء بالإحباط فأصبحوا وهم لا يكادون يؤمنون بقيمة وحجم دورهم الطليعي في الحياة الأكاديمية قبل الحياة العامة أيضاً.

بيد أننا لا نزال نرى في هذه الأستاذية ما تمثله مكانتها المتفردة في صدارة التخصصات الجامعية جميعاً، فهذه الأستاذية حين ينالها صاحبها عن جدارة تصبح في رأينا صاحبة المكانة المعنوية التي لا تعدلها مكانة أية أستاذية جامعية أخرى، ذلك أن الأستاذية الحققة في الأدب القومي لا تتحقق للأستاذ إلا إذا كان بعلمه وعمله قادراً على أن يكون أستاذاً مجيداً في التاريخ العام وفي الذوق العام وفي البلاغة

التطبيقية وفي فهم الفلسفة وفي فهم الموسوعية الملمة بالمعرفة ونظريتها وبعلم النفس والاجتماع، وبأبجديات علوم العصر الذي أبدع فيه من ينقدهم او يكتب تاريخهم من الأدباء. وهو قبل هذا كله يظل بمثابة الصوت الأول المعبر عن الهوية القومية، والمنتدب للتحديث بلسانها وللحكم بجانانها.

نبدأ هذا الكتاب بضوء الأستاذ حفني ناصف ١٨٥٥-١٩١٨ الذي نعتقد أنه كان صاحب أول جهد حقيقي في نقل ثمار الثقافة العربية من مرحلة الموسوعية إلى مرحلة الأكاديمية فبنى على جهد الأعلام الستة الكبار : حسن العطار ورفاعة الطهطاوي وعلي مبارك باشا وعبد الله فكري باشا وأحمد زكي باشا وأحمد تيمور باشا (الذين تناولنا جهودهم في كتابنا عن نشأة الموسوعية العربية الحديثة) وكان في هذا البناء مهتديا بلماحية ونفاذية فكر معاصره السابق عليه في المكانة الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده ، وبالأثر الحاضر (أو الساخن) والباقي للأستاذ جمال الدين الأفغاني ، ومنتقلاً بالموسوعية إلى حالة مبكرة من التقنين الأكاديمي المستند الى الفطرة والذائقة والاطلاع ، مقدما طرازا مبكرا من أستاذية الأدب التي لا يمكن أن تتحقق إلا بعد كطف ثمار الخبرة من مهن أخرى ذات وظائف مرموقة .

ومع أن مجالات إبداع حفني ناصف متعددة فإن دوره في تقنين (وأكدمة) الدراسات الأدبية لا يمكن القفز عليه فهو الذي وضع كتابه الرائد عن حياة اللغة العربية، وهو الذي مكن لتاريخ الأدب العربي في مدخلات ومخرجات الجامعة المصرية (القديمة /الأهلية) التي رأسها هو نفسه في وقت من الأوقات، وهو الذي تولى متطوعا تدريس هذا المقرر أو المنهج أو العلم.

ونردف بعد هذا بالحديث عن الأستاذ سيد بن علي المرصفي ١٨٥٧-١٩٣١ ذلك العلم العبقري الذي انتقل الادب على يديه من الهواية إلى الوجوب، ومن الثرثرة إلى المنهج، ومن الحرية المطلقة إلى العلم بقيوده الذهبية، وقد خرج من معطف هذا الأستاذ المرصفي العظيم أساتذة الأدب الفطاحل وفي مقدمتهم تلميذه الأثير الدكتور طه حسين الذي أصبح بمثابة عميد الأدب العربي والدراسات الأدبية في الجامعات والمؤسسات الاكاديمية العربية.



كان الأستاذ الشيخ سيد المرصفي مبرزاً في ارتقائه بأداء واجب هذه الأستاذية علي مدي سنوات طويلة، وهو أداء تميز بالاعتدال والاصطبار والإثمار، فقد كان محظوظاً بكثرة تلاميذه الأعلام، وكان أيضاً محظوظاً بكثرة المدائح النثرية التي كتبت فيه وأذكر من هذه المدائح النثرية ما كتبه أربعة تفوق عليهم فيها خامس، فأما الأربعة فهم الشيخ عبد العزيز البشري، والدكتور طه حسين، والأستاذ أحمد حسن الزيات، والدكتور محمد رجب البيومي وأما الخامس فهو الدكتور زكي مبارك الذي تفوق عليهم في مديحه لأستاذه في لحظة صفاء عقلي نادر من التي تتاح للأدباء فوصفه وصفاً نادراً وشاملاً وفريداً وموجزاً وصوره بأنه أوجد عصره بلا جدال، ومن الحق أن المرصفي كان كذلك، و نال المكانة التي لا يمكن أن تكون في متناول أحد من الأساتذة الجامعيين بقدر ما يمكن أن تكون في متناول أستاذ الأدب المجيد من طراز المرصفي العظيم .

رزق الله الجامع الأزهر الشريف، ورزق مصر والأدب العربي، بالأستاذ سيد المرصفي معاصراً للأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده فأحيا الله به ثمرات قادرة على الإحياء، فكأنه كان في حقيقة الأمر الأستاذ الذي انتقى البذور وهجنها قبل ان تلقى في تربة الحياة العامة.

وإذا كان هناك من قام بهذا الدور قبل عصر النهضة المصري الذي مثلته ثورة ١٩١٩ فإنه هو الشيخ سيد المرصفي الذي كان من دون تكليف ولا تجنيد قد أعدّ تلاميذه إعداداً سلساً لهذه المكانة العالية التي تبوأها كثيرون منهم في الفكر والثقافة والتعليم والتربية والصحافة والإبداع أيضاً. و بعبارة أبسط فإنه هو ذلك الرجل الذي جعل من دراسة الأدب علماً و مقرراً دراسياً ذا أبعاد بدلا من أن يقرأه الأزهريون والجامعيون على نحو ما يقرأه المثقفون والنبلاء في أوقات فراغهم للتفكه أو حتى التثقف، وهكذا بدأ الادب على يديه في التحول الوائق ليكون علماً له أبعاد مدينة العلم من تاريخ وفلسفة ومنهج وحدود وتطوير، كما أصبح الأدب على يديه مقرراً دراسياً ثم أصبح تخصصاً ثم أصبح كلية، ثم أصبح كليات وهو يشرف من بيته من علٍ على هذا الإنجاز كله بحدب وتقدير، وقد وصل تقدير الأزهر له أن اعتبره أستاذاً

اللغة كلها ، وأن اختير عضواً في هيئة كبار العلماء بما أنجزه في الدراسات الأدبية فكان هذا تتويجاً مبكراً لاعتراف الأزهر بالدراسات الأدبية وبالاستاذية فيها بل إن الله جل جلاله شاء أن تمتد حياة المرصفي حتى يرى أكبر ثمرة لجهده متمثلة في نشأة كلية اللغة العربية لتكون إحدى الكليات الثلاث في الجامعة الأزهرية .

وعلى عادة أستاذ الأدب المجيد فقد كان المرصفي أديبا أيضاً، وكان وثقا من نفسه إلى الحد الذي جعله (على حد ما رواه الدكتور طه حسين) يعتز بقصيدة أنشأها في تحية أستاذه الشيخ الشربيني وبأنها سميت بالمعلقة الثامنة.

ثم نتحدث في الفصل الثالث عن الدكتور أحمد ضيف ١٨٨٠- ١٩٤٥ الذي بدأ نقل النمط العلمي الغربي من الحياة الأكاديمية إلى الجامعة حين أصبح منذ نوفمبر 1918 أول مدرس للأدب في الجامعة المصرية بادئاً أول جهد جامعي مصري في تقديم الأدب على أساس المناهج الأوروبية الحديثة. وقد أدي وظيفته الجامعية بهمة واقتدار بشهادة الدكتور طه حسين نفسه، ومن دون أن يحدث جلبة حول أدائه أو آرائه على نحو ما ابتلي به الدكتور طه حسين عندما حل محله، وبدأت الأزمات تحاصره. وهو الذي نقل مفردات هذا الطراز الغربي وتقنياته في دراسة الأدب وتدريبه وبناء مدارسه وتخصصاته ومصطلحاته وتوجهاته قبل أن يأخذ منه الاستاذان طه حسين وأحمد أمين الراية فيرفعاها ويرعاها، وقيل أن يبذلا أقصى ما يمكن من جهد ويحققا أقصى ما يمكن من نجاح.. وعلى عادة أستاذ الأدب المجيد فقد كان الدكتور ضيف رائداً في مقارنة فنون السيرة الذاتية والرواية والقصة والترجمة والحياة الفكرية والاجتماعية أيضاً.

ثم ننطلق بدءاً من الفصل الرابع وحتى الفصل السادس إلى ثلاثة أساتذة من أعلام الجيل التالي مباشرة والمواكب لطفه حسين وأحمد أمين والمتداخل معهم في وجودهم (وقد كانوا من الذين يصغرونهم في السن بما لا يزيد عن عشرين سنة) وهو الجيل السابق مباشرة على جيل خريجي الجامعة المصرية في التخرج والعمل والاستاذية والريادة ، وهو الجيل الذي تمكن من أن يقدم صورا تأسيسية لدراسات الأدب الجامعية والأكاديمية وبحوث الادب في الدراسات العليا، وما بعد الدراسات

العليا كذلك، ومع أن أحد هؤلاء الثلاثة وهو الأستاذ محمد خلف الله أحمد ١٩٠٤- ١٩٨٣ قد تفرغ لهذه المهمة طيلة حياته فإن الأستاذ محمد مهدي علام ١٩٠٠- ١٩٩٢ بدأها بعد أن توج مناصبه التربوية والتعليمية بنجاحات متوالية ، أما أسبقهم سنا وهو الأستاذ علي النجدي ناصف ١٨٩٨- ١٩٨٣ فقد احتفظ للأدب بالهواية المتألقة الموازية في أستاذيتها لأستاذية النحو و اللغة التي تولاهما وأجادهما ونبع فيها ، وهكذا قدم نموذجا نفتقده الآن لأستاذ الأدب الذي لا تحده أستاذية اللغة وإن كان قادرا على ممارستها معا باقتدار .

وقد كان من حسن حظنا الذي أنعم الله به علينا أنه قَدَّر لنا ان نتلقى العلم على ثلاثتهم، وأن نتلقى التقدير من ثلاثتهم، فكان هذا من دواعي تفوقنا، ومن دواعي فخرنا على حد سواء، فقد كانوا أعلاما علماء معلمين مؤطرين متوجين ناصحين مخلصين فضلا عن إتقانهم وريادتهم وتواضعهم ودأبهم ورضاهم النفسي ومجدهم المتألق والمتصل ومدارسهم المنتشرة والمتوهجة بالعطاء المتميز والمتفرد.

غني عن البيان أنه بعد هذه الطرز التأسيسية تفجرت مراحل العلم المعروفة من الامتداد المكاني والمؤسسي بتعدد المدارس، والجامعات والكليات والتخصصات... الخ ولهذا فليس غريبا أن يقال في وصف أحدث هؤلاء الستة سنا وهو الأستاذ محمد خلف الله أحمد مؤسس دراسات اللغة العربية في جامعة الإسكندرية أنه الأستاذ الثالث للأدب العربي بعد طه حسين وأحمد أمين، ذلك أن الأساتذة الموازين له و المعروفين بقيمتهم الكبيرة جنحوا بطبيعة الأمر وطبيعة التاريخ إلى التخصص وإلى الكراسي المتخصصة سواء من كان منهم موازيا لمحمد خلف الله أحمد أو لاحقا به، وهكذا جاءت المرحلة التي أصبحت فيها الكليات تضم أستاذًا للأدب الجاهلي ، وأستاذًا للأدب في العصر العباسي ، وأستاذًا للأدب المصري في العهد الإسلامي ، و أستاذًا للأدب الإسباني ، وأستاذًا للأدب الحديث المعاصر .... كما أصبحت تضم أساتذة للنقد وللبلغة وللنظريات الأدبية وللتحليل الاجتماعي والنفسي ... الخ و هي مدارس ندعو الله أن يوفقنا للحديث عنها في كتبنا التالية المشككة على الانتهاء .

أدعو الله سبحانه وتعالى أن يجعل عملي هذا خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفع به، وأدعوه جل جلاله أن يوفقني إلى تقديم ما تبقى من أعمالي، وقد طال العهد بتجاربيها المطبعية في ظل غربتي ومرضي وتشردني واستحياشي، والوقت لا يسعفني، والجهد يتضاعف، والذكاء يخبو، والألمعية تنطفئ، والقلب يئن، والنظر يكل، والعقل ينتشتت، والذاكرة تتبدد، والسهل يتعقد، والنفس يتقطع، والأمل يتضعضع، والعمر قصير، والواجب كبير، والمؤجل كثير، لكن رجائي يتضاعف في فضل الله جل جلاله وكرمه.

والله سبحانه وتعالى أسأل أن يقيني شر الهوى، وأن يقيني شر التعجل، وشرور العجز والكسل والوهن، وأن يقيني شر الانخداع، وأن يرزقني الغنى والهدى والعفاف والتقوى، وأن يتجاوز عن سيئاتي، وأن يتغمدني برحمته، وأن يديم عليّ توفيقه، وأن يجعلني قادرًا على شكر فضله. والله سبحانه وتعالى أسأل أن يمتعني بسمعي وبصري وقوتي ما حييت، وأن يحفظ عليّ عقلي وذاكرتي وحدي وذاقتي، وأن يجعل كل ذلك الوارث مني. والله سبحانه وتعالى أسأل أن يهديني سواء السبيل، وأن يرزقني العفاف والغنى، والبر والتقوى، والفضل والهدى، والسعد والرضا، وأن ينعم عليّ بروح طالب العلم، وقلب الطفل، وإيمان العجائز، ويقين الموحدين، وإخلاص المؤمنين، وعطاء المحسنين، وشك الأطباء، وثبت العلماء، وخيال المبدعين، وتساؤلات الباحثين.

والله سبحانه وتعالى أسأل أن يعينني على نفسي، وأن يكفيني شرها، وشر الناس، وأن ينفعني بما علمني، وأن يعلمني ما ينفعني، وأن يمكنني من القيام بحق شكره وحده وعبادته، فهو وحده الذي منحني العقل، والمعرفة، والمنطق، والفكر، والذاكرة، والصحة، والوقت، والقدرة، والجهد، والمال، والقبول، وهو جلّ جلاله الذي هداني، ووفقني، وأكرمني، ونعمني، وحبب فيه خلقه، وهو وحده القادر على أن يتجاوز عن سيئاتي وهي، بالطبع وبالناكيد، كثيرة ومتواترة ومتنامية، فله سبحانه وتعالى - وحده - الحمد، والشكر، والثناء الحسن الجميل

د. محمد الجوادي

## الفصل الأول

### العلامة حفني ناصف

#### الذي انتقل بالأدب العربي من الموسوعية للأكاديمية

حفني بك ناصف (١٨٥٥ - ١٩١٩) علم سامق في تاريخ الفكر والادب والقضاء واللغة والأدب جميعاً، يوصف بأنه شاعر ونائر وخطيب وقاض ولغوي وتربوي وصحفي وثائر من طراز رفيع. ومن الإنصاف أن نقول إنه كان كل هذا وأكثر من هذا فقد كان رجلاً من رجال الحضارة، الذين ينتقلون بمجمعاتهم من مرحلة متقدمة الى مرحلة أرقى، ولا شك في أنه أبرز أبناء جيله من المثقفين الموسوعيين في حقول التربية والتعليم والقضاء والفكر والشعر معاً. وقد تمكن بعبقريته أن يجمع بين الإبداع وبين التفوق في الأداء، كما جمع بين روح المصلح وروح الثائر، وكان ذا تأثير وحضور، كما أنه كان قادراً على الإنجاز والخلود، وقد مكنته الوظيفة والهواية من أن يرتحل ويزور بلاداً كثيرة، حيث زار ألمانيا وسويسرا والنمسا والسويد ورومانيا واليونان الأستانة وسوريا والجزيرة العربية.

وحفني بك ناصف من حيث تاريخ العلم يمثل آخر نماذج رجال العلم من الرواد البارزين العباقرة، الذين جمعوا بين تولي المناصب القضائية والتربوية مع النبوغ في كليهما، فضلاً عن شاعريته وتفوقه الأدبي، ودوره السياسي.

وحفني بك ناصف في رأينا هو أول أساتذة الأدب العربي الجامعيين (أو الأكاديميين) بالمعنى الحديث. كان حفني بك ناصف أيضاً أبرز خريجي مدرستي دار العلوم والحقوق في سنواتهما الأولى وقد تخرج في المدرستين بتفوق.

#### نشأته

ولد حفني بك ناصف عام ١٨٥٥، في بعض المصادر أنه ولد عام ١٨٥٦. وهو بهذا من حيث المولد تال مباشرة للشيخين محمد عبده وحمزة فتح الله (ولدا ١٨٤٩ على أرجح الأقوال)، وقد كان صديقاً للأستاذ الإمام، وعوناً له، كما أنه صاحب مرثية شهيرة له.

ولد الشاعر حفني ناصف ببركة الحج (القليوبية)، ودرس في كتاب قرينته، ودفعه طموحه إلى الالتحاق بالأزهر، فلم يستشر في ذلك والدته ولا خاله الذي كان قد أصبح ولي أمره؛ نظرا لوفاة أبيه وهو طفل صغير، وقضى في الأزهر عشر سنوات، وقبل أن يتقدم للامتحانات تقدم لدار العلوم، فاختير طالبا بها وتخرج فيها بعد نهاية الثورة العرابية، التي كان قد شارك فيها بالخطابة وبتوزيع خطبه الثورية على الخطباء في المساجد والتجمعات والشوارع، كما كان يكتب في بعض الصحف باسم إدريس محمدين.

### عقابه على اشتراكه في الثورة العرابية

وعقبا له نشاطه في الثورة العرابية وصلته بالشيخ محمد عبده، عين الشاعر حفني ناصف في وظيفة أدنى من شهادته؛ حيث عين في مدرسة لذوي الاحتياجات الخاصة كانت تسمى بمدرسة الخرس والعميان، وبقي في هذه الوظيفة حتى أعلن عن حاجة مؤسسة القضاء إلى توظيف سكرتارية تساعد في ترجمة القوانين الأوروبية، فكان حفني ناصف ممن نجحوا في هذا الامتحان، وكانت هذه أول علاقته بالقانون، لكنها توثقت توثقا شديدا حتى أصبح من أكثر الناس إلماما بالقانون، وحتى رشح مدرسا في مدرسة الحقوق الخديوية العليا.

وفي مدرسة الحقوق استكمل الشاعر حفني ناصف علمه القانوني، وهو يقوم بوظيفته كمدرس للقانون، أي أنه كان يجمع بين الأستاذية والتلمذة معا بنظام دقيق، حتى أصبح في مستوى أساتذة القانون المجيدين، وجاءته الفرصة مرة ثانية حين عقد امتحان لاختيار القضاة بالمحاكم الأهلية، ففاز في الامتحان وأصبح قاضيا أهليا، وتنقل في وظيفته الجديدة بين مناصب ومواقع متعددة في النيابة والقضاء على مدى عشرين عاما.

وقد نال ترقياته القضائية باعتدال وتقدير وكان آخر مناصبه القضائية وكالته لمحكمة طنطا وهو، في زمنه، منصب قضائي رفيع.

### إسهامه في الحياة العامة

كان حفني ناصف كاتبًا نشطًا قادرًا على المتابعة والاشتباك مع قضايا عصره، وقد ظل يمارس الكتابة للصحافة وبرز في هذا المجال، حتى إنه رشح ليخلف الشيخ علي يوسف في رئاسة تحرير «المؤيد» (١٩١٣).

وفي كل الأوقات ظل حفني ناصف حريصاً على هوايته للشعر والأدب ومشاركته في الأحداث الوطنية بآثاره الأدبية.

وكانت لحفني ناصف مكانته في المجتمعات الأدبية والثقافية، وقد ساعده على هذا ارتباطه بالأستاذ الشيخ محمد عبده، ومن ثم فإنه ارتبط بصداقة مع الشاعر حافظ إبراهيم، وبمنافسة مع محمد توفيق البكري.

### **ابنتاه كوكب وملك**

كان لحفني ناصف دور مجتمعي تنويري لا يقل أهمية عن دوره في وضع القواعد والقوانين لتطوير مناهج تعليم اللغة العربية. وقد كان حفني ناصف تنويرياً وتجلي هذا بوضوح شديد حتى على مستوى الأسرة الصغيرة، ويكفي أن نشير إلى أنه هو الذي مهد الطريق لنبوغ ابنته باحثة البادية، كما كانت ابنته الأخرى الدكتورة كوكب (التي لا تتمتع بشهرة شقيقتها) وهي أول طبيبة مصرية أو على الأقل واحدة من أول طبيبتين، وقد عاشت حتى كرمها الرئيس السادات في آخر عهده.

وكذلك كان حفني ناصف تنويرياً على مستوى كل المجتمعات التي عاشها، وقد بدأ هذا الدور وهو قاض متنور ينشئ المواسم الثقافية في عواصم الإقليم (كقنا وطنطا حيث عمل بهما) ليقدم للجماهير أحاديث أدبية توازي ما كان يقدم في المساجد ودور العبادة من أحاديث دينية.

### **الاب الروحي لأول مؤسسة نقابية وعلمية : نادي دار العلوم**

توج حفني ناصف خطواته التنقيفية المتعددة بخطوة رائدة تمثلت في إنشاء نادي دار العلوم في القاهرة، وهو بلغة عصرنا الحاضر مؤسسة بارزة من مؤسسات المجتمع المدني، وكان هذا النادي من أوائل نوادي الخريجين، لكنه تميز عن هذه النوادي جميعاً بطابع فكري وعلمي كان بارزاً إلى حد مذهل، ولا تزال بقايا هذا الدور مستمرة.

### **الوعي لريادة قيادة للمجتمع المدني**

وكان حفني ناصف في خطواته هذه رائداً في إعطاء ما يسمى الآن بمؤسسات المجتمع المدني دوراً كبيراً في قضايا الفكر وتطوير الحضارة نفسها.

ولم يكن حفني ناصف - وهو واحد من كبار الموظفين - مغلقاً في تصوراته حول  
حصرية السلطة في الإصلاح، بل إنه كان منذ مرحلة مبكرة في تاريخ نهضتنا مؤمناً  
بأهمية الدور غير الحكومي في ارتياد مناطق "المخاض الفكري" في قضايا التقدم.

### نظم أول مؤتمرين لقضايا الأمة

وجه حفني ناصف مؤسسته الوليدة المسماة نادي دار العلوم إلى بحث موضوعين  
فكريين على درجة كبيرة من الأهمية، أحدهما: موضوع الألفاظ الأعجمية التي بدأت  
تغزو اللغة العربية، وثانيهما: موضوع الربا، والحديث عن دور البنوك الاقتصادية  
التي أنشئت في البلاد، ومدى موافقة أعمالها لما تقرره الشريعة الإسلامية، وكأنه  
كان يعهد إلى هذا النادي الذي رأسه بوظيفة مجمعي اللغة العربية والبحوث الإسلامية  
الذين لم تنشئهما الدولة إلا بعد هذا في بداية الثلاثينيات وبداية الستينيات.

وفيما يتعلق بمقاومة الألفاظ الأجنبية التي اقتحمت اللغة العربية، عقد النادي ندوة  
جمعت كبار المفكرين المصريين في ذلك الوقت، وممن شاركوا فيها بالرأي  
والدراسة الأساتذة: محمد الخضري بك، وأحمد فتحي زغلول باشا، وأحمد زكي  
باشا، وأحمد الإسكندري بك، وقدموا أوراقا وبحوثا على أعلى درجات الفهم  
والاستيعاب، وقد تضمنت هذه البحوث آراء وتوصيات محددة ومتعددة، وإن صدرت  
عن عقليات مختلفة.

### رسم سياسة التعريب

وقد اختتم حفني ناصف بحوث الندوة، فخلص آراء زملائه المتعارضة، وأبدى  
رأيه منتصراً لمن قال بضرورة التعريب، وانتهى الحضور إلى قرار نهائي في  
تسمية المسميات الحديثة، جاء في نصه: «يبحث في اللغة العربية عن أسماء  
المسميات الحديثة بأي طريق من الطرق الجائزة لغة، فإذا لم يتيسر ذلك بعد البحث  
الشديد يستعار اللفظ الأعجمي بعد صقله ووضع على مناهج اللغة العربية، ويستعمل  
في اللغة الفصحى بعد أن يعتمده مجمع لغوي سيؤلف لهذا الغرض. وقد صدر هذا  
القرار بتوقيع حفني ناصف رئيس النادي.

### دعوته المبكرة لإنشاء بنك مصري و لدراسة المعاملات المالية

كانت دعوة العلامة حفني ناصف لدراسة حكم المعاملات الدينية من حيث  
خضوعها لتعريف الربا بمثابة مبادرة فكرية شجاعة ورائدة، حيث دعا إلى البحث



فيما تدل عليه كلمة الربا، وشارك في هذا البحث الشيخ عبد العزيز جاويش، والشيخ عبد الوهاب النجار، والشيخ محمد الخضري والسيد محمد رشيد رضا. ومن المفارح التي لا يذكرها المصريون المحدثون ولا يقدرونها حق قدرها أن هؤلاء الأعلام الخمسة كانوا أول من نادوا بوجوب إنشاء مصرف مصري، يُنافس البنوك الأجنبية التي ملكت اقتصاد البلاد، وكأنما كان هؤلاء المفكرون الأعلام يرهبون بما أنجزه طلعت حرب باشا بعد سنوات.

### إسهامه في إنشاء الجامعة المصرية و وضع مقرراتها

تمثلت الخطوة التنويرية الثالثة لحفني ناصف في مشاركته الفاعلة في إنشاء الجامعة الأهلية القديمة مع سعد زغلول وقاسم أمين ومصطفى كامل، ولم تقف هذه المشاركة عند حدود الإنشاء الإداري أو المؤسسي، لكنها تعدت هذا إلى جوهر الإنشاء الأكاديمي، ووضع المقررات وبناء المناهج والتوجهات. وقد اختير حفني ناصف ليرأس مجلس إدارة الجامعة، كما عمل أستاذا لتاريخ الأدب العربي بالجامعة. وبهذا فإنه سبق إلى هذه المكانة كلاً من الدكتور أحمد ضيف، والدكتور طه حسين، اللذين عينا فيما بعد كأستاذين للأدب وتدريسه، وكانا متفرغين للوظيفة ويتقاضيان عنها الأجر، وليس كما كان الأستاذ حفني ناصف يقوم بها عن تطوع.

### مؤتمر المستشرقين

تقدم الأستاذ حفني ناصف ببحثه عن «مميزات لغة العرب، ه إلى مؤتمر المستشرقين في فيينا، المنعقد سنة ١٨٨٦ و كان هذا البحث الأصيل من أبرز بحوثه التي أفادت الجامعة في تصورها لدورها الوطني. ومن الجدير بالذكر هنا أن الأستاذ حمزة فتح الله قد اشترك هو الآخر في ذلك المؤتمر.

وهكذا كان لحفني ناصف دور بارز في العلاقة الفكرية مع المستشرقين، وكما ذكرنا فإنه مثل مصر في أكثر من مؤتمر من مؤتمرات المستشرقين ببحوث قيمة، أشاد المستشرقون أنفسهم بقيمتها وأشاروا إلى ضرورة طبعها.

### تميزه في أستاذه لتاريخ الادب

لا شك في أن حفني ناصف قد حقق نجاحا بارزا في دوره كرائد حقيقي لدراسات تاريخ الأدب العربي الجديدة، وقد كانت محاضراته في الجامعة الأهلية بمثابة فتح

في زمنها وقد أجاد الدكتور طه حسين نفسه وصف هذه المحاضرات وأثرها وجاذبيتها.

### اعتبر علوم اللغة كلها جزءا من الأدب

ولا يقف دور حفني ناصف في أستاذه لتاريخ الأدب عند ما القاه من محاضرات مهمة في هذا العلم في الجامعة، وإنما كان صاحب رؤية في الاتساع بمفهوم تاريخ الأدب ليشمل فقه اللغة العربية وأصولها اللغوية، ويشمل البحث فيما سماه حروف الهجاء وطريقة نطقها في القبائل المختلفة، وفي المخارج واللهجات والإمالة والاتباع، ولدراسة الخط العربي في زمنه القديم من عهد عرب الرعاة والنبط والبابليين، ونشأة الشكل والنقط، وأنواع الخط من مُسند ومقور وكوفي ومبسوط.

### التوسع في دلالة الأدب

كان حفني ناصف على نحو ما ألمحنا من رواد التوسع في دراسة تاريخ الأدب العربي، وكان هذا الاتساع أقرب إلى مناهج المستشرقين في كتابة تاريخ الأدب.

### ظل يعتبر علوم اللغة جزءا من دراسة الأدب

لا يزال رأي بعض أساتذة تاريخ الأدب المعاصرين يقول بأن حفني ناصف كان يخط بالأدب كثيرا مما اصطلح في دراساتهم ومدارسهم على أنه خارج عن نطاقه، وكأنه امتد بكلمة الأدب من مفهومها الخاص إلى مفهوم عام.

### الرافعي تأثر به بينما تأثر الإسكندري و الزيات بجورجي زيدان

لم يبق حفني ناصف منفردا بفهمه لتاريخ الأدب العربي على النحو الرحب الذي عبر به في كتابه، والذي لخصناه في الفقرات السابقة، فقد تأثر به مصطفى صادق الرافعي رحمه الله حين كتب كتابه الرائع "تاريخ آداب العرب"، ويرى الدكتور محمد رجب البيومي أن مصطفى صادق الرافعي تأثر في كتابه بمحاضرات حفني ناصف، على حين سار على نهج جورج زيدان من تلامذة من مؤرخي الأدب على طريقة العصور، كالشيخ أحمد الإسكندري ومصطفى عناني في "الوسيط"، وأحمد حسن الزيات في "تاريخ الأدب العربي"، ومؤلفو كتاب "المفصل" بجزأيه.

### رواد الجامعة مالوا إلى رأيه

ومن الإنصاف أن نشير إلى أن الدكتورين أحمد ضيف وطه حسين كانا أميل لمنهج حفني ناصف منهما إلى المذهب الآخر.

بل إن من الإنصاف أن نضيف أيضا أن الأستاذ أحمد أمين كان هو من بلغ القمة في التحديد الفعلي والمتجسد لطابع تاريخ الأدب العربي باتفاقه مع الدكتور طه حسين على أن يضم للأدب النتاج الفكري المرتبط به مما يظنه بعضنا تاريخا أو فلسفة.

**ريادته الفذة في دراسة اللهجات**

انتبه حفني ناصف بعبقريته إلى ضرورة دراسة اللهجات والبحث في تأصيل الاختلافات القائمة في هذه اللهجات، وكان له جهد رائد في هذا الميدان، حيث تولى في بحثه المعنون «رسالة في المقابلة بين لهجات بعض سكان القطر المصري إجراء دراسة ميدانية للهجات مديرتي المنيا وبني سويف؛ حيث لاحظ فروقا في نطق بعض الحروف بين أبناء المديرتين.

وأرجع حفني ناصف هذا الاختلاف إلى اختلاف القبائل العربية التي نزلت بالمكانين بعد الفتح الإسلامي، فعرب قريش تتجلى لهجتهم لدى سكان مديرية المنيا، وغير قريش تبدو لهجتهم لدى سكان مديرية بني سويف.

#### **إسهاماته الفذة في علوم اللغة**

هكذا تأكدت وترسخت قيمة حفني ناصف اللغوية والعلمية، ولم يعد هناك في رأينا سبيل إلى إنكارها ولا تجاهلها، فقد كانت له إنجازات كثيرة فيما يتعلق بالهمزة والحروف وترتيبها وتمييزها وعددها وكتابتها فضلا عن أصول اللغة فيما يتعلق ببنيتها وصرفها.

#### **قصة شرحه لكتاب الكافي في علم العروض**

نشر طه حسين هذه القصة عرضا في كتابه الأيام فقال:

" وكان (أي حفني ناصف) رحمه الله قد شرح كتاب الكافي في العروض حين كان طالبًا في الأزهر. وكان يخجل من هذا الشرح ويكره أشد الكره أن يُنسب إليه، فكان الفتى يقسم له في آخر العام لئن لم يُضف إلى المقرر دروسًا لينسب إليه شرح الكافي في مقال ينشره في الجريدة. وكان رحمه الله يستجيب فيضيف درسين، وربما أضاف أربعة دروس. "

### اشتراكه مع الاسكندري وعناني في مراجعة كتابة المصحف

كان من أبرز الإنجازات التطبيقية لحفني ناصف قيامه بوضع لقواعد الوقف في المصحف الشريف، ورموز السجرات والأرباع، وقد قام بهذا الجهد على مدى سنوات مع زميليه الأستاذين أحمد الإسكندري، ومصطفى عناني. وقد تولى مراجعة طريقة الرسم لتأتي مطابقة للرسم العثماني الذي التزم به، كما بحث في القراءات والقواعد النحوية، من أجل رسم علامات الوقف والوصل على الوجه الصحيح، وقد تمكن هو وزميلاه من وضع علامات للوقف الواجب والوقف الجائز والوقف الممتنع.. إلخ.

### التعريف برسم المصحف الشريف

كتب هؤلاء الأساتذة الثلاثة منهجهم في صفحات تحمل عنوان «تعريف بهذا المصحف الشريف ولا تزال هذه الصفحات تُلحق في نهاية المصاحف المطبوعة التي بين أيدينا، وعلى الرغم من تعدد طبعات المصحف الشريف على النحو الذي أنجزه حفني وزميلاه، والإشارة إلى ما كتبوه عن معنى الرموز التي وضعوها (من قبيل صلى، وقل، وم، ولا.. إلخ)، فإن أسماءهم لا تذكر في نهاية التعريف برسوم تلاوة المصحف الشريف، وقد كان هذا هو نمط الحياة الحضارية في زمانهم، أما في زماننا هذا الذي يحرص الناس على فرصهم في الذكر، فيُذكر مَنْ قاموا بالإشراف المطبوعي فحسب، بينما يبقى التعريف من دون ذكر أسماء الأعلام الثلاثة الذين أنجزوه: الأساتذة حفني ناصف، وأحمد الإسكندري، ومصطفى عناني.

### ريادته في النثر الفني الحديث

كان حفني ناصف في جيله أبرز الذين تفوقوا في النثر الفني بمفهومه الأدبي الواسع، ويمكن تصنيفه على أنه صاحب ابرز أسلوب نثري مخضرم يجمع بين الامتداد التقليدي للمدرسة السائدة في ذلك الوقت، والتي كانت تعنى بالسجع والبديع، وبين التطوير في هذه المدرسة الذي جعلها تتحرر من هذا الأسلوب، كما يمكن تصنيفه أيضًا على أنه من طلائع الذين كتبوا بالأسلوب الصحفي المترسل غير مقيدين بالنثر الفني التقليدي، وبالطبع فإن آثاره في الثانية أكثر من آثاره في الأولى، ولكن بعض آثاره في الأولى بقيت ناطقة بعبقريته قادرة على تطويع السجع لغايته التعبيرية، دون تكلف أو شطط.

## شاعرية حفني ناصف

وصف شعر حفني ناصف بأنه شعر جيد وسهل في الوقت نفسه، ليس فيه تكلف تعبيرى ولا فكرى، لكنه لا يخلو من لمحات فنية متميزة، وقدرات عالية على التصوير والمجاز، وهو في معظمه بعيد عن الألفاظ المهجورة، وما يمكن تسمينه بالصور المكررة أو الاكليسيائية، كما أنه يمثل صورة مبكرة من شعر الحياة؛ فقد أجاد التعبير بشعره عن كثير من مواقف حياته، وعن أحداث أمته ووطنه في الفترة التي عاشها، وذلك على الرغم من إصراره على الابتعاد عن الفخر والمراثى والمديح، ولم يكن مستواه في أشعاره يبعد كثيرا عن شعراء الصف الأول الذين عاصروه من أمثال: أحمد شوقي، وحافظ إبراهيم، وخليل مطران، وكان هؤلاء تالين له في السن بسنوات قليلة.

## جهده في التاريخ

أما أبرز جهود حفني ناصف في التأريخ فتتصل بما كتبه عن قرية «مارية القبطية»، وقد توصل إلى معرفة قرية "حفن" حيث بنى عبادة بن الصامت مسجدا تجدد بعد موته، وحيث وجد أبناء تلك القرية يتناقلون الاعتزاز بالسيدة مارية التي كانت من بلدتهم.

## قيمة مؤلفاته التربوية : الدروس النحوية

كان من أبرز إنجازات حفني ناصف ريادته في تأليف مجموعة مبكرة من كتب اللغة العربية المدرسية بالطرق الحديثة (يمكن لنا بلغة العصر أن نسميها: الجيل الأول من الكتب المدرسية)، وقد تولى رئاسة لجنة علمية تولت تأليف الكتب المدرسية في النحو والصرف والبلاغة على نحو يفيد الطالب المبتدئ. ألقت هذه اللجنة سلسلة «الدروس النحوية في أربعة كتب، الأول والثاني والثالث للمدارس الابتدائية، والرابع للمدارس الثانوية. كما ألقت كتابا خاصا بالبلاغة وفروعها من معان وبيان وبديع.

وهكذا بدأ حفني ناصف توجيه التأليف المدرسي في علوم اللغة العربية على نحو تربوي وعملي حديث يستهدف التلميذ والمدرس ويخاطبهما معا، ويلتزم بلغة العصر الحديث وتبويباتها لا بشجرة العلم القديمة وتفرعاتها، وقد أخذت هذه السلسلة المدرسية بأسلوب التدرج، بحيث يكون درس أي باب سهلا في الجزء الأول ثم

يضاف إليه في الكتب التالية ما يكمله من التقسيمات اللازمة. أما الذين شاركوا حفني ناصف في تأليف الكتب المدرسية فكانوا زملاءه محمد دياب، محمود عمر، مصطفى طوم، وسلطان بك محمد.

وقد ظلت سلسلة «الدروس النحوية تدرس في المدارس المصرية قرابة نصف قرن، حتى حلت محلها كتب الجيل الثاني وأبرزها: «النحو الواضح و«البلاغة الواضحة للأستاذين علي الجارم ومصطفى أمين.

ولهذا فإننا نقول دائماً إن حفني ناصف وزملاءه هم الجيل الأول من مؤلفي الكتب المدرسية الحديثة، أما الجارم فهو رأس الجيل الثاني، ثم يأتي الجيل الثالث ممثلاً في محمد مهدي علام وأقرانه ويأتي الجيل الرابع متمثلاً في الأستاذ يوسف الحمادي، ثم يأتي جيل خامس هجين كان لنا الشرف أن نكون منه.

وفيما قبل هذه الأجيال كانت قواعد اللغة العربية في المدارس الابتدائية تدرس من خلال كتاب «تقريب فن العربية لأبناء المدارس الابتدائية، وهو كتاب وضعه الشيخ المرصفي وكان صورة مختصرة للمنهج الأزهرى في التأليف، حيث يبدأ بتعريف المصطلح، ثم يأخذ في إخراج المحترزات، ويأتي بالاعتراضات التي يمكن أن توجه للتعريف.

### حديث طه حسين المنصف عنه

تحدث الدكتور طه حسين عن تتلمذ لهم في الجامعة المصرية القديمة فلما جاء إلى ذكر حفني ناصف فاض قلمه بالتقدير العميق والحب المتصل:

" وكان من هؤلاء الأساتذة حفني ناصف رحمه الله، وكان ابتساماً كله، وفكاهة كله، وتواضعاً كله، على غزارة في العلم، وأصالة في الفقه بما كان يدرّس من الأدب العربي القديم، وكان الطلاب يكلفون به أشدَّ الكلف، ويطمعون فيه أعظم الطمع، وكان بعضهم ربما انصرف عن دروسه ليجلس إليه في قهوة كوبري قصر النيل التي كان يجلس فيها ساعة قبل الدرس من يوم الخميس من كل أسبوع.

" وكان الطلاب يأبؤون عليه أن يختم دروسه في آخر العام دون أن يزيدهم على المقرّر درسين أو دروساً. وكان الفتى لسانهم حين كانوا يرغبون إليه في ذلك. وكان الفتى يطلب إليه المزيد من الدرس نثرًا حينًا وشعرًا حينًا مستعطفًا مرة ومنذرًا مرة أخرى".

### إشادة طه حسين بأخلاقه وتواضعه

"وكان أروع صورة عرفها الفتى (أي طه حسين) لتواضع الأستاذ (أي حفني ناصف)، أنه لم يتكأف قط ذلك الوقار المصنوع الذي يتكلفه بعض الأساتذة حين يرقون إلى مجلسهم في غرفة الدرس، وإنما كان يخلط نفسه بطلابه كأنه واحد منهم لولا أنه كان يكبر أكثرهم سنًا، فقد كان بين طلابه من تقدمت به السن كثيرًا".

"وقرأ الفتى ذات يوم في الجريدة حديثًا لأحد القراء يطرح فيه موضوعًا لمسابقة شعرية، ويجعل لهذه المسابقة جائزة هي كتاب الأمالي لأبي عليّ القالي، ويحكم بين المستبقيين الأستاذ حفني ناصف وتلميذه ذاك الفتى. وأنكر صاحبنا أن يقرن إلى أستاذه، وأحس شيئًا من غرور، ولكن يجلس ذات مساء في بيته بدرج الجمال مع جماعة من رفاقه يأخذون في بعض ما كانوا يخوضون فيه من حديث، وإنهم لفي ذلك وقد تقدّم بهم الليل وإذا الباب يطرق عليهم. فإذا أدخل الطارئ، وجّم الفتى ودهش الرفاق؛ فلم يكن الطارق إلا الأستاذ حفني بك ناصف، قد جمع شعر المستبقيين في الجريدة، وسعى به إلى تلميذه في بيته ذاك في الطبقة السادسة من تلك الدار التي كان يسكنها، وقال له في رفقٍ عذب: أتيت لأخلو إليك ساعة نفرغ فيها من قضية هؤلاء المستبقيين".

### تكريم أكبر أساتذة الأدب له

نشر الأستاذان الكبيران محمد خلف الله ومحمد مهدي علام كتابهما القيم «نثر حفني ناصف، وكتب الشاعر محمود غنيم عن حفني ناصف في سلسلة أعلام العرب، كما خصه الأستاذ محمد رجب البيومي بفصل عظيم في كتابه «النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين، وكتب الدكتور علي عشري زايد المدخل الجميل الوافي الخاص به في «قاموس الأدب العربي الحديث».

### ظهور مجده في أبنائه

ظهر أثر حفني ناصف المربي في أولاده، فبالإضافة إلى ابنته فائقة الشهرة والتأثير ملك حفني ناصف المعروفة بلقب «باحثة البادية، وابنته الثانية الدكتورة كوكب حفني ناصف التي هي أول طبيبة مصرية، فإن له ابنين كان لهما شأن كبير في الحياة العامة والفكر السياسي اليساري وهما عصام الدين حفني ناصف، ومجد

الدين حفني ناصف وإلى أحدهما يرجع الفضل في جمع ديوان والده، ودعوة الدكتور طه حسين لكتابة مقدمته.

### التعريف بابنه عصام الدين حفني ناصف

بدأ عصام الدين حفني ناصف (١٨٩٩ - ١٩٦٩) حياته السياسية في الحزب الوطني، ثم أصبح من الوطنيين الذين انضموا إلى مسيرة الوفد بقيادة سعد زغلول، ثم اتجه إلى الفكر الاشتراكي، فكان من دعائه المبكرين، وقد جاء اقتناعه بالفكر الاشتراكي مواكبًا لاقتناعه بنظرية النشوء والارتقاء وبالفكر الحديث في معالجة تاريخ الإنسان والجنس البشري، وعرف بانغماسه في الحركة الوطنية أكثر من شقيقه مجد الدين، وبالطبع أكثر من شقيقته ملك التي لم يتح لها العمر الاشتراك في ثورة ١٩١٩ وما بعدها.

وعلى عادة الاشتراكيين والشيوعيين، فإن عصام الدين ومجد الدين تركا عضوية الوفد، في إطار اتهام سعد زغلول بالمساومة على القضية الوطنية. درس عصام الدين في ألمانيا، وفيها أسس جمعية طلابية شبابية، على حين أن أخاه مجد الدين كان يقوم بالدور نفسه في فرنسا، وكان كلاهما مرتبطًا بالحزب الاشتراكي.

وعرف عن مجد الدين علاقته بالسياسي الفرنسي كاشان، الذي أسس الحزب الشيوعي الفرنسي بعد نجاح ثورة لينين، وكان مواكبًا لنشأة الحزب الاشتراكي في مصر على يد سلامة موسى ومحمد عبد الله عنان، وهو الحزب الذي قلد باريس في كل شيء حتى في الانقسام؛ إذ خرج ثلاثة لبنانيين منه ليؤسسوا الحزب الشيوعي المصري في ١٩٢٣ وهم: رفيق جبور، وأنطون مارون، وفؤاد الشمالي.

وقد اتهم عصام الدين بطبع المنشورات في ١٩١٩ وحكم عليه بالسجن لثمانية أشهر ثم تكرر دخوله السجن.. وأصدر كتابًا بعنوان «التجديد الاجتماعي ١٩٣١»، وكان هو صاحب الاعتراضات اليسارية الصارخة على الأمير يوسف كمال راعي الفنون الجميلة ومؤسس مدرستها، وهو الذي صوره في صورة بشعة إذ يذبح الخرفان لكلايه العشرين التي يستخدمها في الصيد، بينما الفلاحون معدمون لا يأكلون إلا "المش".



بقيت من مؤلفات عصام الدين حفني ناصف: اليهودية في العقيدة والتاريخ، موسي وفرعون بين الأسطورة والتاريخ، اليهودية بين الأسطورة والحقيقة، المسيح في مفهوم معاصر، محنة التوراة على أيدي اليهود.

### نبيله مع الأستاذ مصطفى صادق الرافعي

كان العلامة حفني ناصف إنساناً نبيلاً منصفاً، وقد ذكر الأستاذ محمد سعيد العريان في كتابه عن حياة الرافعي بعض مواقف نبيله مع الرافعي، فعلى الرغم من أن الرافعي كان قد بدأ علاقته مع حفني ناصف بداية جافة، فإن حفني ناصف بما جبل عليه من نيل أعطى الرافعي حقه، ومكّن له في الوظيفة، وحماه من البيروقراطيين ومن حقد من لا يقدرّون الموهبة حق قدرها.

### آثاره

- حياة اللغة العربية
  - الأمثال العامية
  - الأسماء العربية لمحدثات الحضارة والمدنية
  - مجموعة شعر حفني ناصف.
  - رسالة في "المقابلة بين لهجات بعض سكان القطر المصري"،
  - "الدروس النحوية".
  - رسالة عن السيدة "مارية القبطية"
- وقد جمع ابنه شعره في ديوان سماه «شعر حفني ناصف».

### قصيدته في ذكرى مرور أربعين يوماً على وفاة الشيخ محمد عبده

بيتٌ دعائمهُ نُبِلٌ وتضحيةٌ  
وسار في سَنَنِ الآبَاءِ متّيداً  
فأرسلتُ مصرُ بنتُ النيلِ من دمها  
وصفقت لُحْمَةَ الغَيْلِ تُنشدُهم  
والناسُ بينَ بشاشاتٍ وتهنئةٍ  
جاء الزمانُ فلا قولٌ بممتنعٍ  
وأشرق الصبحُ والدنيا مهلّلةٌ  
من ينصر الله لا جورٌ يُجيدُ به

إذا بنى الناسُ من صخرٍ ومن شيد  
أمرٌ مطاعٌ ورأيٌ غيرُ مردود  
ورداً تزيّنُ به هامُ الصناديد  
من البطولةِ ماثورَ الأناسيد  
وبينَ شكرٍ وتكبيرٍ وتحميد  
على اللسانِ ولا حرٌّ بمصفود  
كأنه بسَمَاتِ الخُرْدِ الغيد  
عن الطريقِ ولا جَهْدٌ بمفقود

يكفي سكوئك أربعين نهراً  
عنا وأمسى المسلمون حيارى  
عما عراق وما همو بسكارى  
يقظاً ومزق دونه الأستارا  
عند اشتداد الخطب أن تتوارى  
لا داراً فيها ولا ديّارا  
فعلام تتخذ المقابر دارا  
فإذا قضيت فما قضوا أوطارا  
ويذود عن أكنافها الأخطارا  
ويرد غارة من به يتمارى  
ويذيق من باراه فيه تبارا  
ويزيل عن غدرانه الأكدارا  
عما اقتضاه زمانهم أبصارا  
ينفك حتى يصبحوا أخيارا  
صارت بغفلة أهلها آثارا  
ويشيد في أنهاره ما انهارا  
لا تحسد الأعواد والأوتارا  
بعظاته وينبئه الأغرارا  
في البذل لا سرفاً ولا إقتارا  
ليحط عن فقرائنا أوزارا  
في نفسه سأمأ ولا استكبار  
والصدق والإخلاص والإيثارا  
وجد السبيل إلى صلاح سارا  
أن يصلح الأخلاق والأفكارا  
ذا العبه أوسعنا له الأعدارا  
هلعاً وتسعى للمنون بدارا  
فلذا وطيري يا بحار بخارا  
يا نيل وأمطر يا سحاب حجارا  
كسفاً وخرّي يا جبال نثارا  
يا ريح وأسري بيننا إعصارا  
كانت نفوس الخالفين صغارا

لم لا تجيب وقد دعوتُ مراراً  
كثر التخبُّطُ والحقائقُ حُجِّبت  
يتساءلون وقد عرّتهم سكرة  
فاجلُ الصوابِ لنا كما عودتنا  
ما كان عهدي حين يقصدك الورى  
فيم احتجائبك في فلاة بلقع  
الكون عن مسعاك ضاق نطاقه  
للمسلمين إليك أكبر حاجة  
من ذا يناضل عن شريعة أحمد  
ويصون دين الله من شبه العدا  
ويذب عن أي الكتاب بحكمة  
ويجيء في تفسيره بعجائب  
ويظهر الإسلام مما شابهه  
ويذكر العلماء ألا يغمضوا  
ويجادل الأشرار بالحسنى فلا  
يجدد العربية الأولى وقد  
ويعيد للإنشاء سابق مجده  
ويرد أعواد المنابر جذلة  
ويبث بين الخلق غرّ خلائق  
ويحث أهل المال أن يتوسطوا  
ويروود صرعى الجود في وزرائنا  
يقضي حوائج سائليه فلا يرى  
ويعلم الناس الأمانة والوفا  
ويظل بالإصلاح مغرّ كلاً  
حتى كأن عليه عهداً للعلا  
إن كان فينا مرشد يقوى على  
أو لا فأولى أن تفيض نفوسنا  
مات الإمام فيا سماء تفتري  
وتصدعي يا أرض وانضب فجأة  
وقفي مكائك يا كواكب واسقطي  
وذري رحاب الجو تبعث صرصراً  
لا خير بعد محمد في العيش إن

## قصيدته الرائعة في رثاء قاسم أمين

واليوم مصرعه حديث الوادي  
والصبح نحمله على الأعواد  
لطمأ بأيدٍ جنن بالأضداد  
وغدت أسى بنواه رهن سهاد  
وذبولها إلا كقذح زناد  
ما بال نارك حولت لرماد  
ممن عثوا في مصر بالإفساد  
مسترسل في غييه متماد  
هو رائح لشبوبها أو غاد  
للمال يقنصه من الأفراد  
أهلوه واستحيى من الأحفاد  
فتمكنوا في الأرض كالأوتاد  
دقت على النظار والنقاد

بالأمس كان خطيبنا بالنادي  
أنحيط في النادي بمنبره دجى  
تصفيق إعجابٍ تحوّل فجأة  
أمست بمرأه العيون قريرة  
ما بين إزهار الحياة لقاسم  
لم تشك من ألم ولم تك كبيرة  
هلا عدتك إلى سواك منية  
كم هادم لبنائها متطلع  
ولكم بهذا القطر باغى فتنة  
ومخاتل يسعى بكل وسيلة  
ومعمر سئم الحياة ومآه  
ما بالهم ضل الجمائم سبيلهم  
لك حكمة يا رب تعلم سرها

## قصيدته في رثاء الشيخ حمزة فتح الله

ومن يذود الردى عن ألسن العرب  
من سارب في مراعيه ومنسرب  
طوعاً وتعنو له في الشعر والخطب  
لبت وإن تدعها أقلامه تُجب  
كأنما أدخر الألفاظ في غلب  
فأوتى الحكم في الإعراب وهو صبي  
كأنه عنده ضرب من الضرب  
لدى كهولته باللحم والعصب  
في مجدها ملكته سورة الغضب  
زياد من إن رمى عن قوسه يُصيب  
لم تعرف العجم ما فيها من العجب  
وخذ من اللغة اسماً غير مجتلب  
يذر الوجود بها في ذلك الحقب  
حتى يقر له بالفوز الغلب  
على النفوس ويا للويل والحرب

من بعد حمزة يحمي حوزة الأدب  
ومن لقيد شرود من أوابدها  
وللغرائب تأتي في رسائله  
إن رامها لمقال مه مرتجل  
يكسو المعاني إن عنت له كلاً  
قد جد في لغة الإعراب من صغر  
واستعذب الدأب في استيضاح غامضها  
فملكته عنان الأمر وامتزجت  
إذا أحس شعوبياً يعارضها  
وذاذ عن حوضها فوراً بحجته  
وساق في الحال شتى من محاسنها  
وقال هات المسمى وهو مجتلب  
ما عابها محدثات في الصناعة لم  
يجيب سائله عن كل مقترح  
أودى فيا شد ما جاء النعي به

لهفي على بحر فضل غاض زاخره  
يا طالما خطب العلياء مقتعداً  
مصرً وتونسُ والسودانُ تعرفهُ  
وفي السويد بدا الناس سؤدده  
سعى من الشرق يبغي خبر مؤتمر  
ونحن كنا إذا سرنا نحفُ به  
فافهم القوم أن العلم طُلبتنا  
ما كان أملاً للعينين طلعتهُ  
كم في فينا وفي استكهم صورهُ  
وكم أحاط بنا خلقٌ تسائلنا  
مليك أي بلاد ذاك قلت لهم  
لم أنس إذ زرتهُ في البيت منفرداً  
فقلت أدعوك للجلي فأتت لها  
فقال ينكر مني ما أحاوله  
فقلت مولاي قد خرجت نابتةً  
نهضت بالعلم فيهم نهضةً عجباً  
فابرنشق الشيخ من قولي وقال نعم  
طال المسير وقد مسَّ العيون قذىً  
خلفتني أنت فانهض باللغى معهم  
فقلت من عجم الأعوادٍ مختبراً  
فكان أصعبَ شيءٍ أن رجعت لهم  
لو ساعد الحظُّ والأستاذ أسعفا  
فالمجمعُ الآن يبكي حسرةً وأسىً  
لكن سنصير للبلوى على مضض  
ونسأل الله توفيقاً يحركنا  
نمشي الهويئى على مقدار طاقتنا  
سقى ثراه من الوسمي مهمراً  
وعوض الله مصرأً عن خسارتها

لهفي على كنز علم غاب في الترب  
بطن السفين وظهر العيس والقتب  
كم سار في صعدي منها وفي صعب  
ونال بين أورباً منتهى الأرب  
في الغرب محتقياً ما شاء من أهب  
كما تحف نجوم الليل بالقطب  
وأن شمس العلا في مصر لم تغب  
إذا بدا في حلى أثوابه القشب  
مصورو القوم عن بعد وعن كذب  
من كل منجذب في إثر منجذب  
هذا الإمام مليك العلم والأدب  
يوماً لأدعوه للمجمع العربي  
أهل وأحوزنا في السابق للقصب  
لمن تجد وجل الناس في لعب  
فيما مضى يا لهم من فتية نجب  
حاشا يضيع الذي كابدت من تعب  
لكنه منصبٌ يحتاج للنصب  
من القديح ونضوي ناءً من لغب  
وأدب فإنك مطبوع على الدأب  
أحوالها ماز بين النبع والغرب  
وقلت إنني قد أخفقت في طلبي  
كنا غنياً عن التنقيب في الكتب  
ويشتكي حرق الأحران والوصب  
ونسعيد من الأرزاء والنوب  
فيما غنياً به للأخذ بالسبب  
ومن تيمم وجه الله لم يخب  
وجاد مضجعه غاد من السحب  
خيراً كثيراً ونجاها من الكرب

### قصة العلماء الستة الذين رثوا الشيخ محمد عبده وتوفوا بترتيب إلقائهم

ومن القصص المشهورة التي لا يمل الأدباء من تردادها مع تنويعات طريفة  
وعديدة في روايتها أن حفي ناصف كان واحداً من العلماء والأدباء الستة، الذين  
وقفوا سنة ١٩٠٥ على قبر الإمام محمد عبده يرثونه يوم وفاته وقد رثوه حسب

الترتيب التالي: الشيخ أحمد أبو خطوة، حسن عاصم باشا، حسن عبد الرازق باشا، قاسم بك أمين، حفني بك ناصف، حافظ بك إبراهيم.  
وقد تصادف أن مات الأربعة الأولون بهذا الترتيب فلاحظ حفني ناصف ذلك يوماً، وكان حافظ إبراهيم قد مرض وخاف على نفسه من الموت، فبعث إليه حفني ناصف يطمئنه بهذه الأبيات:

أتذكُرُ إذ كُنَّا على القبرِ ستنةً  
وقفنا بترتيبٍ وقد دبَّ بيننا  
أبو خطوةً ولِي، وقَفَّاه عاصمٌ  
فلبّي وغابت بعده شمسُ قاسمِ  
فلا تخشْ هلكاً ما حييت وإن أمت  
فخاطر، وقَع تحت القطار ولا تخف  
وخُضْ لُجَجِ الهيجاءِ أعزلَ أمناً  
نعدُّ آثارَ الإمامِ ونندُبُ  
مَمَاتٌ على وفقِ الرثاءِ مُرتَّبُ  
وجاء لعبدِ الرازق الموتُ يطلبُ  
وعمّا قليلٍ نجمٌ محياي يغرب  
فما أنت إلا خائفٌ تترقبُ  
وتَم تحت بيتِ الوقفِ وهو مُخرَّبُ  
فإن المنايا عنك تنأى وتهربُ

#### فجيعة في ابنته ملك

في سنة ١٩١٨ أصيب حفني ناصف بشلل جزئي، ثم شفي وعاد إلى مراجعة المصحف الشريف الذي تطبعه وزارة المعارف، ولكنه فجع ب وفاة ابنته ملك " باحثة البادية" في أكتوبر سنة ١٩١٨، وحضر حفل تأبينها في الجامعة المصرية محمولاً لفرط ما أصابه من الحزن، و وقف شاعر النيل حافظ إبراهيم يرثيها فقال

مَلكَ النُهَى لا تَبْعُدِي  
إِنِّي أرى لَكِ سَيْرَةَ  
رَبِّي أبوكِ النَّاشِئِي  
وَسَأَلتِ أَنْتِ سَبِيلَهُ  
رَبِّيَتِهِنَّ عَلَى الفُضِي  
وَعَلَى اتِّبَاعِ شَرِيْعَةِ  
فَلِبَيْتِكُمْ فَضْلٌ عَلَى ال  
لِلَّهِ دَرُكٌ إِنْ نَأْتِر  
قَدْ كُنْتِ زَوْجاً طَبَّةً  
سَادَتْ عَلَى أَهْلِ القُصُو  
غَرَبِيَّةً فِي عِلْمِهَا

فَالخَلْقُ فِي الدُّنْيَا سَيَر  
كَالرَوْضِ أَرْجَهُ الزَّهْرِ  
نَ فَعَاشَ مَحْمُودَ الأَثَرِ  
فِي النَّاشِئَاتِ مِنَ الصِّغَرِ  
لَهُ وَالطَّهَارَةَ وَالخَفَرِ  
نَزَلَتْ بِهَا أَيُّ السُّوَرِ  
أَحْيَاءِ أَنْثَى أَوْ ذَكَرِ  
تِ وَدَرُّ حِفْنِي إِنْ نَأْتِر  
فِي البَدْوِ عَاشَّتِ وَالخَضَرِ  
رِ وَسَوَدَّتْ أَهْلَ الوَبَرِ  
مَرْمُوقَةً بَيْنَ الأَسْرِ

مَخْدُورَةٌ بَيْنَ الْحَجَرِ  
سِ تَخُطُّ آيَاتِ الْعِبَرِ  
عَرَكَ الْحَوَائِثَ وَإِخْتَبَرَ  
تَطَهُو الطَّعَامَ عَلَى قَدَرِ  
طُ وَتَرْتَضِي وَخَزَ الْإِبْرَ  
لِذْهَابِ حِلْيَتِهَا إِفْتَخَرَ  
لَا بِاللَّائِي وَالذَّرْرِ  
بِاللَّهِ يَوْمَ الْمُؤْتَمَرِ  
ذَةِ وَالْمَقَالَاتِ الْغُرْرِ  
عِنْدَ الْمَجَلَّاتِ الْكُبَرِ  
نَا خَيْرَ رَبَّاتِ الْفِكْرِ  
لِ شَبَابِهَا لَا يُغْتَفَرِ  
رَ وَلَمْ تُغَيَّبْهَا الْحَفَرِ  
يُرجى وَكُنْزاً يُدْخَرِ  
تِ السَّافِرَاتِ عَلَى خَطَرِ  
نَةِ وَالْعَفَافِ عَلَى سَفَرِ  
مَلِكٌ يَقِيهِنَّ الضَّرَرَ  
حَ الْحُزْنَ مُخْتَلِفِ الصُّورِ  
رِ نُوَاخِ هَاتِفِهِ الشَّجَرِ  
حُزْنَا يُقَطِّعَنَّ الشَّعَرَ  
حَ وَفِي الْمَسَاءِ وَفِي السَّحَرِ  
هَلْ غَابَ زَيْدٌ أَوْ حَضَرَ  
مُ إِذَا تَحَامَلَ أَوْ خَطَرَ  
صِيفٌ فَالْتَوَى ثُمَّ انْكَسَرَ  
يَنْقُضُ مِنْ وَقَعِ الْخَوْرِ  
ءِ وَزَلَّزَلَتْهُ يَدُ الْقَدْرِ  
نَ وَلَا الْبَنَاتِ عَلَى الْكِبَرِ  
تُ فُؤَادَهُ وَقَدِ انْفَطَرَ  
رِقُ زَائِرِيهِ إِذَا زَقَرَ  
خَطُوعاً تَخَبَّلَ أَوْ عَثَرَ  
نِ الْوَالِدِينَ فَمَا أَمَرَ  
مُسْتَوْجِشاً بَيْنَ السَّمَرِ  
بِإِدَاءِ أَخْطَاءِ الْقَمَرِ

شَرْقِيَّةً فِي طَبْعِهَا  
بَيْنَا تَرَاهَا فِي الطُّرُ  
وَتُورِكَ حِكْمَةً نَابِئِهِ  
فَإِذَا بِهَا فِي مَطْبَخِ  
وَإِذَا بِهَا قَعَدَتْ تَخِي  
فَخَرَّتْ بِوَالِدِهَا وَوَا  
بِالْعِلْمِ خَلَّتْ صَدْرَهَا  
فَأَنْظُرْ شَمَائِلَ فِكْرِهَا  
وَاقْرَأْ مُحَاضِرَةَ الْجَرِي  
وَارْجِعْ إِلَى مَا أُوْدَعَتْ  
تَعْلَمُ بِأَنَا قَدْ فَقَدَ  
ذَنْبُ الْمَنِيَّةِ فِي إِغْتِيَا  
يَا لَيْتَهَا عَاشَتْ لِمِص  
كَانَتْ مِثَالاً صَالِحاً  
إِنِّي رَأَيْتُ الْجَاهِلَا  
وَرَأَيْتُ فِيهِنَّ الصِّيَا  
لَا وَازِعٌ وَقَدْ انْطَوَتْ  
لَا كَانَ يَوْمُكَ يَوْمَ لَا  
عَلِمَتْ هَاتِفَةَ الْفُصُ  
وَتَرَكْتَ أَتْرَابَ الصِّبَا  
يَبْكِينَ عَهْدَكَ فِي الصَّبَا  
وَتَرَكْتَ شَيْخَكَ لَا يَعِي  
ثُمَّلاً تُرْتَحُّهُ الْهُمُ  
كَالْفَرَعِ هَزَّتَهُ الْعَوَا  
أَوْ كَالْبِنَاءِ يُرِيدُ أَنْ  
قَدْ زَعَزَعَتْهُ يَدُ الْقَضَا  
أَنَا لَمْ أَذُقْ فَقَدَ الْبَنِي  
لِكِنِّي لَمَّا رَأَيْ  
وَرَأَيْتُهُ قَدْ كَادَ يُح  
وَشَهَدْتُهُ أَنِّي خَطَا  
أَدْرَكْتُ مَعْنَى الْحُزَنِ حُز  
وَشَهَدْتُ زَوْجَكَ مُطْرِقاً  
كَالْمُدْلِجِ الْخَيْرَانِ فِي ال

فَعَلِمْتُ أَنَّكَ كُنْتَ عِيقَ دَ هَنَائِهِ وَقَدِ انْتَثَرَ  
صَبْرًا أَبَا مَلِكٍ فَإِنْ نَ الْبَاقِيَاتِ لِمَنْ صَبَرَ  
وَيَقْدِرُ صَبْرَ الْمُبْتَلَى طَوَّلُ الْمُصِيبَةِ وَالْقِصَرُ  
كُنْ أَنْتِ أَنْتِ إِذَا تُسَا ءُ كَأَنْتِ أَنْتِ إِذَا تُسَرُّ  
يَا بَرَّةً بِالْوَالِدِي نَ أَبُوكَ بَعْدَكَ لَا يَقِرُّ  
فَسَلِّي إِلَهَكَ سُلوَةً لِأَبِيكَ فَهُوَ بِهِ أَبَرُّ  
وَلِيَهْنِكَ الْخِدرُ الْجَدِي دُ فَذَلِكَ دَارُ الْمُسْتَقَرِّ

وعندما أنشد حافظ بكى حفني بك، وحملوه وهو يبكي، ثم فقد رشده حتى لحق

بابنته في ٢٥ فبراير ١٩١٩

### وفاته وتكريمه

عاش العلامة حفني ناصف حتى شهد بداية أحداث ثورة ١٩١٩، وتوفي كما  
ذكرنا في فبراير ١٩١٩ أي في أثناء الثورة، فشغل الناس بالثورة عن إقامة التكريم  
اللائق به عند وفاته.

## الفصل الثاني

### الأستاذ الشيخ سيد المرصفي

### الذي جعل الأدب علما من العلوم

ليس من المبالغة أن نقول إن التاريخ الاحترافي (أو المهني) لمؤرخي الأدب أو تاريخ أستاذية الأدب أو تاريخ أستاذية تاريخ الأدب، يبدأ بالأستاذ الشيخ سيد علي المرصفي (١٨٥٧ - ١٩٣١)، وهو من باب التصوير الشعبي المجازي المحبب لنفوس الأكاديميين: أستاذ ابن أستاذ، لكنه من حيث النسب ليس كذلك، وإن كان الدكتور محمد رجب البيومي قد أثبت أنه امتداد لابن بلده الشيخ حسين المرصفي الكبير (١٨١٠ - ١٨٨٩) صاحب كتاب الوسيلة الأدبية.

### أستاذ الجيل الذي تحقق فيه معنى اللقب

والشيخ سيد علي المرصفي هو أستاذ الجيل الذي تحقق فيه معنى هذا اللقب قبل الأستاذ أحمد لطفي السيد، فإذا كان الأستاذ أحمد لطفي السيد أستاذ الوجاهة في المجتمعات الثقافية؛ فإن الأستاذ سيد المرصفي هو أستاذ الوجاهة في معاهد العلم لأنه كان الأستاذ الأكاديمي المعلم الموجه المهذب الدال على الصواب، وعلى المنهج، وعلى مصادر العلم ومصادر النقد ومصادر التصحيح.

كان وجوده، مجرد الوجود في حد ذاته، في صحن الجامع الأزهر أو في حرم تلك الجامعة المصرية الوحيدة المتاحة في الأزهر وما حوله، هو السبب الرئيسي وربما الوحيد في إقبال الأزهريين أو أساتذة المستقبل على الأدب وعلى دراسته، وفي تفضيل كثير من هؤلاء للاستماع إلى دروس الأدب لا على دروس العلوم الأخرى فحسب، ولكن على دراسة العلوم الأخرى؛ لأنهم كانوا يرون في دراسة ما يحاضر فيه الأستاذ المرصفي حياة حياة تغريهم بالاضطراب فيها يوما بعد يوم، وتغريهم أيضاً بالتفرغ لها بعد ذلك.

وعلى هذا النحو نفهم غرام طه حسين وأحمد حسن الزيات وغيرهما بالأدب، نفهمه كرد فعل عميق لهذا الشعور الأخاذ الذي كان لا يفتأ يقتنصهم وهم يعودون



من طريقهم إلى سيد المرصفي، ويجذبهم وهم يذهبون إليه، ويتملكهم مرة أخرى وهم يعودون إلى هذا الطريق مرة بعد أخرى وقد أحبوا أن يعودوا إليه مرة بعد أخرى.

وقد قلنا في مقدمة كتابنا هذا إنه أول من أهل الأدب ليكون علما دراسيا بالفعل بعدما دعا الأستاذ الشيخ محمد عبده الى هذا بالفكر والقوة وضرب القدوة وقدم ما يسمى في العلم بالعينة. وقلنا أيضا في المقدمة إن الأستاذ المرصفي هو أول من عاش المعنى الذي يدل عليه لقب أستاذ الجيل، ولا تتعارض أستاذيته مع أستاذية أحمد لطفي السيد، ذلك أن أستاذية المرصفي أستاذية تكوين، وأستاذية لطفي السيد أستاذية تلميع، كما أن أستاذية المرصفي أوسع ميدانا، وأبلغ أثرا، وقد كانت أستاذية فارضة لنفسها وطبعها وتوجهاتها إلى حد عميق.

#### نشأته

ولد الشيخ سيد علي المرصفي عام ١٨٥٧، أي أنه يكبر الزعيم سعد زغلول بعامين على أرجح الأقوال في مولد كل منهما، وجعل حياته كلها للعلم على طريقة العلماء المتصوفين المتفرغين الزاهدين الذين يغرمهم العلم بالغرم ويغريهم به.

ولد هذا الأستاذ، واسمه بالكامل سيد بن علي بن حسن المرصفي، في درب الرركاكي بشارع باب البحر بالقاهرة سنة ١٨٥٧، وتلقي تعليما دينيا والتحق بالأزهر الشريف، ودرس على عدد من كبار علماء عصره ولما أجازته أساتذته العلماء عين بمدرسة والده عباس، ثم مصححا بدار الكتب المصرية، ثم عاد للعمل مدرسا للغة بالأزهر الشريف، ومدرسة بولاق، وظل طيلة حياته منشغلا بالأستاذية بمعناها الواسع والمثالي معا.

وفي أثناء عمله بالتدريس بالأزهر لعب دورا رائدا ومتصلا في إعادة الاهتمام بالدراسات الأدبية الي مكانتها المرموقة في مناهج التعليم الازهرية ، وإلي بؤرة اهتمام الطلاب حتي أصبح الأدب من الدراسات الأكاديمية، ومن مكونات مؤسسات التعليم الوطنية، وذلك بفضل ارتقائه بأداء واجب هذه الأستاذية علي مدي سنوات طويلة، وهو أداء تميز كما وصفناه في مقدمة هذا الكتاب بالافتقار والاصطبار والإثمار، وجمع هذه العوامل معا في سلاسة ويسر، وقد تمكن من صيغ الدراسات الأدبية في الأزهر (ومن ثم المؤسسات التي تلتها) بأسلوبه القادر علي النقد والتحقيق،

وعلي الصياغة والتعبير، وعلي معاملة التراث بندية وحب وذكاء، وهكذا ضرب بسهم وافر في جذب النابهين إلي ميدان الدراسات الأدبية، وفي رفع شأن هذه الدراسات الي جوار العلوم الشرعية التي كانت تستحوذ علي صورة الأزهر في عيون المجتمع.

### تأثيره العميق غير المسبوق

كان تأثير سيد المرصفي في تلاميذه أسطوريا، إذ كان صاحب فضل في الأخذ بيد تلاميذه إلي مواطن الجمال في التراث العربي، والدفع بهم إلي مدارج الارتقاء الفكري من خلال الفحص والنقد والتمحيص والتمثيل والإفادة.

وقد تمكن سيد المرصفي بدأبه أن يحول تلاميذه إلي ما أصبحوا عليه بالفعل: بناء نهضة فكرية وتربوية وصحفية من دون أن يفقدوا قدراتهم الأولى، ولا انتماءاتهم الأصلية، وهكذا فإنه كما نقول دائما كان أستاذ الجيل الحقيقي في جيله ، ولعل تعداد أسماء بعض تلاميذه يعطينا فكرة عن أستاذيته التي أظلت كلا من: مصطفى لطفي المنفلوطي، وأحمد حسن الزيات، وطه حسين، وعبد العزيز البشري، وعلي عبد الرازق، وزكي مبارك، ومحمود حسن زناتي، وأحمد محمد شاکر، وحسن السندي، ومحمد محيي الدين عبد الحميد، ومحمد الههياوي، وعبد الرحمن البرقوقي، ومحمد إبراهيم هلال، ومن الشعراء المجيدين: علي الجارم ، وأحمد الزين، وحسن القاياتي، ، ومحمود رمزي نظيم، وأحمد شفيع السيد، ومن تلاميذه أيضا الشيخ محمد الخانجي البوسنوي، وزكي مجاهد صاحب كتاب الأعلام الشرقية، والشيخ محمود العثماوي شيخ البيومية، والشيخ أحمد إبراهيم شاهين السناري، والشيخ سعيد الطيب الجزائري.

### بيته امتداد للأزهر

كان بيت الشيخ المرصفي نفسه امتدادا للجامع الأزهر من حيث كان الأزهر جامعة وحيدة، وكان تلاميذه يتبعونه إلي بيته فينعمون بالاستماع إليه، أو بمواصلة الاستماع إليه، ويفيدون من مكتبته وتعليقاته، وقد عاش حياته أستاذا في الأزهر إلي أن أدركته الشيخوخة وكسرت ساقه فاضطر إلي البقاء في بيته، وهكذا تحول بيته تلقائياً إلي امتداد للأزهر تعقد فيه حلقات الدرس، وظل كذلك إلي أن توفي.

### تحقيق الدكتور البيومي لمرحلة تكوينه العلمي

إلى الدكتور محمد رجب البيومي يعود الفضل في وصف طبيعة الحلقة الأولى من سيرة الحياة العلمية للأستاذ سيد المرصفي ، فقد تواترت أقوال المراجع علي أنه روى أنه كان تلميذا للسيد عبد الهادي الإبياري، لكن الدكتور البيومي رأي استحالة هذا بسبب اختلاف ذوق الرجلين (وإن كنت لا أري هذا عاملا حاسما تماما فكم رأيت في الطب من أساتذة بنوا مجدهم على مناقضة أساليب أساتذتهم)، وقد ذهب الدكتور البيومي إلي أن الأستاذ المرصفي الأول (أي الشيخ حسين المرصفي صاحب "الوسيلة الأدبية المتوفي ١٨٨٩) هو أستاذ المرصفي الثاني (أي سيد بن علي المرصفي)

### فخر الدكتور زكي مبارك بصحبته للمرصفي

يقول الدكتور زكي مبارك:

"صحبت الأستاذ سيد المرصفي ستة أعوام، فتلقيت عليه شرح الحماسة، وشرح الكامل، وشرح الأمالي، وكان في ذلك العهد أعلم الناس بأسرار العربية، وكنت أكتب كل ما ينطق به من جد وهزل، حتى جمعت ثلاثين كراسة، هي اليوم أنفوس ما أملك من ذكريات الأزهر الشريف"،  
"لقد فكرت كثيرا في الظروف التي كونت الشيخ سيد، ثم انتهيت إلى أنه فضل الله يؤتية من يشاء".

### اعتزاز الأستاذ محمود شاكر بما تلقاه عنه من العلم

يقول الأستاذ محمود شاكر:

"ثم الفضل الأكبر للرجل الثاني، فقد كان شixي وأستاذي الذي علمني العربية، وهو الشيخ سيد بن علي المرصفي، مات منذ دهر طويل، أكثر من خمسة وخمسين سنة، كان عالما لا يُبارَى، وكان في حالة فقر شديد في أول أمره، وهو عالم من علماء الأزهر، وكرهه الأزهريون لأنه كان لا يدرس إلا الأدب، كتاب الكامل للمبرد، والحماسة لأبي تمام، فأغفلوه إلى أن جاء والدي وكيلا للأزهر، وكان يعرف فضل الشيخ المرصفي، فبحث عنه.

### مارواه الشيخ محمد شاكر لابنه محمود عنه

" وأقص عليكم قصته كما رواها والدي: في غرفة أو غرفتين في حواري الأزهر العتيقة، عرف بيته وذهب إليه، فوجده جالسا وحوله الكتب، ومحيطاً نفسه بدائرة من العسل حتى لا يزحف البق إليه، فعينه والدي مدرسا للأدب. وأنا أدركت الشيخ عندما كنت طالبا في المدارس الثانوية وصاحبته، وهو الذي علمني العربية، وقرأت عليه كتاب "الكامل" للمبرد، و"الحماسة" لأبي تمام، وفصولا من "أمالي" أبي علي القالي.

" هذا الرجل اشتغل أول أمره مصححاً في دار الكتب، وقد نشر كتاباً واحداً وهو الجزء الأول من كتاب "الخصائص" لابن جني، وهي الطبعة الأولى، قبل أن يطبعه كاملا الشيخ النجار في ثلاثة أجزاء، فهذا الرجل بقي في دار الكتب سنين يشتغل مصححاً"

### كان يحتفظ لنفسه ببعض أسرار العلم

" وكانت له خبرة بجميع كتب الأدب التي كانت في دار الكتب، وكان أيضا لا يحب البوح بعلمه، أشياء معينة لا يخبر أحداً بها، مما قرأته عليه في شرح كتاب الكامل أنه رجع إلى مخطوطة في دار الكتب من ديوان ابن مقبل، لما توفي الشيخ، بحثت عن هذه النسخة في دار الكتب فلم أهتد إليها إلى هذا اليوم".

### مشاركته في الثورة العربية

بقي أن نشير إلى التوجه السياسي للشيخ المرصفي، ومن الجدير بالذكر أنه كان مؤيدا للزعيم أحمد عرابي وشارك في الثورة العربية مؤازرا واعتقل مع من اعتقلوا.

### قصيدته المرصفية في مدح عرابي باشا

ألف الشيخ المرصفي القصيدة المرصفية في مديح ذلك الزعيم الوطني، وقد طبعت هذه القصيدة في مطبعة بولاق (١٨٨٢)، وفيها يقول الشيخ المرصفي:

يا آل مصر تنبهوا فمن الذي يرضي بذل في الخليفة أنكد  
يا آل مصر علمتمو ما حل في هند وتونس من بلاد سمرمد  
هذا وللمولي الكريم نمد أيد ينا لنصر جيوشنا بتأيد

تجدر الإشارة إلي أن احتلال تونس تم في عام ١٨٨١ في العام السابق علي احتلال مصر (١٨٨٢)، وهو ما كان المرصفي واعيا له.

### قصيدته في مدح الشيخ الشربيني

كان الشيخ المرصفي منذ مرحلة طلبه للعلم محبا للشيخ الشربيني الذي صار بعد ذلك شيخا للأزهر، و لم يكن يجد حرجا في الجمع بين حب ذلك الشيخ وكونه من أتباع الشيخ محمد عبده، وقد أنشد بين يديه قصيدته في تحيته التي يقول فيها:

ملاك العلا في غرة ملكت يدي      أمن شأن مثلي في العزارة أن يدي  
أبت عزمتي أن آخذ الحمد هينا      بغير سنان أو لسان محدد  
فلما انتهى من قصيدته قال الشيخ الشربيني: "علقوها فوق رأسي"، فسميت ثامنة  
المعلقات منذ ذلك الحين، وقد لاحظنا أن بعض المصادر تخطئ فتذكر أنه أنشد هذه  
القصيدة في الشيخ الإنبائي.

### حصوله على العالمية من الدرجة الأولى

تقدم الشيخ المرصفي لامتحان العالمية فحصل عليها من الدرجة الأولى الممتازة  
في شعبان ١٣١٠ هجرية (فبراير ١٨٩٣).

### رواية الأستاذ شاكر عن تخليه عن وظيفته

"... واشتغل بتدريس العربية في مدرسة عباس باشا الابتدائية، فعتب عليه شيخ  
الأزهر الإمام الإنبائي أن يحرم الأزهر فضله وعلمه، فشكا من أن مرتبات الأزهر  
لا تكفيه، فتفضل الشيخ الإنبائي ومنحه مرتب التدريس بالأزهر على أن يلقي درسا  
في جامع الزاهد بجهة باب البحر، بين المغرب والعشاء، فيجمع بينه وبين التدريس  
بمدرسة عباس باشا الابتدائية، فكان يوم درسه الأدباء والفضلاء".

"وحين كان مدرسا بهذه المدرسة تأخر قليلا عن الموعد المقرر، فاستدعاه  
الناظر، فكان جوابه تقديم الاستقالة، ومما أثر عنه أنه كان يقول: "ذهبنا إلى المدارس  
فوجدناها نظاما بلا علم، وجئنا للأزهر فوجدناه علما بلا نظام، فأثر العلم واشتغل  
بالتدريس في الأزهر".

### حبه للمبرد وإحيائه لكتابه

كان الشيخ سيد المرصفي محبا للمبرد، وقد اشتهر كتابه أو موسوعة رغبة الأمل

من كتاب الكامل (ثمانية اجزاء).. إلي حدود قصوى، لكن حبه للمبرد العظيم لم يمنعه من نقده وتصويب رواياته ومقالاته في إخلاص ودأب وتجرد.

وقد أشار الشيخ سيد المرصفي نفسه في مقدمة الجزء الأول من شرحه الكبير للمبرد إلى أنه لم يجعل من كتابه رغبة الأمل شرحا تفسيريا لنصوص الكامل فقط، بل اهتم ببيان ما اختار أن يصفه بقوله: " حاد فيه أبو العباس المبرد عن سنن الصواب من خطأ في الرواية، وخطر في الدراية، إذ كان المبرد يعتد كثيرا في لفظه علي جودة حفظه، فربما نزع في غير منزع عن القصد سهمه، أو سعد في الأدب مرتقي زلت به إلي الحضيض قدمه".

### **تصويبه لبعض آراء المبرد متأثرا بحماس الأزهريين في تفنيد الخطأ**

هكذا تناول الأستاذ المرصفي كتاب الكامل للمبرد متأثرا بحماس الأزهريين في تفنيد الخطأ، ومع هذا الذي يبدو وكأنه نوع من تعالي المرصفي علي المبرد ، وهو سلوك أزهري معهود يبرره في رأينا حماسهم المتدفق للعلم والحق ، فإن المرصفي هو صاحب الفضل في اعتماد كتاب "الكامل" للمبرد، ليكون محورا للدراسات الأدبية في عصره وما بعد عصره، وقد أخذ علي عاتقه أن يحقق هذا الكتاب ويقدمه لتلاميذه، فكان الكامل بين يديه : يتم قصائده، ويشرح الألفاظ الصعبة فيه ، ويتعرض لنسبة الأبيات، ويترجم لصاحب الأثر الذي استشهد المبرد بنصوصه ، ويشرح ما تركه المبرد دون إيضاح.

### **حبه لكتاب الأمالي لأبي علي القالي**

وكذلك فعل الشيخ سيد المرصفي مع كتاب "الأمالي" لأبي علي القالي، حيث ناقش لغوياته، وعارض نصوصها المختلفة، وبحث في المخطوطات المتأكلة عما غاب من القصائد، ليكمل ما نقص.

### **أسرار الحماسة**

أما كتاب أسرار الحماسة فقد خصص الجزء الأول منه لشرح ديوان الحماسة لأبي تمام بالأسلوب المشهور له في الشرح والتعليق.

### **العقد الفريد لابن عبد ربه**

وقد امتد منهج الشيخ سيد المرصفي بأسلوب هذه الدراسة المتأنية أيضا إلى كتاب العقد الفريد لابن عبد ربه.

## أراجيز روية والعجاج

وامتد منهج الشيخ سيد المرصفي أيضا إلى مقارنة أراجيز روية على الرغم مما تحفل به من غرائب الألفاظ الوعرة.

## حديثه عن منهجه

لخص الشيخ سيد المرصفي نفسه منهجه في الدراسات الأدبية مقارنا هذا المنهج بمنهج أسلافه وزملائه فقال في مقدمة كتابه أسرار الحماسة:  
" ... وقد رأيت نفوس القوم مصروفة إلي تحقيق المسائل العلمية، والمباحث العقلية، والعليم عندهم من نظر إلي الاستدلال، وأكثر طرق الاحتمال، ووآد ما لا يولد، وأوجد من الأفهام ما لا يوجد، ولو علموا، هداهم الله، ما علمناه من خصائص اللغة وأساليبيها، وما أودعت من لطائف الأسرار في تراكيبيها، لهجروا تلك الكتب ذوات التنافر والتعقيد، وغنموا لغة القرآن المجيد، والحديث الحميد".

## وصف الدكتور البيومي لأستاذه

سبقنا الدكتور محمد رجب البيومي إلي وصف طبيعة أستاذية الشيخ سيد المرصفي وصفا دقيقا فقال:

" استطاع سيد بن علي أن يعيد إلي القاهرة في مطلع هذا القرن مجالس بغداد في أسطع عصورها الزاهية، فكنت تتخيله وقد عكف وحده بين زملائه الشيوخ علي دراسة الأدب واللغة إماما كبيرا من صدور السلف، كأبي عمر، وأبي عبيدة، والأصمعي، والخليل، والمبرد، فهو يروي الشعر الجزل، ويناقش التركيب الناشز، ويعالج اللفظ الغريب، ويرد النسبة المخطئة إلي وضعها الصحيح، ويناقش بعض ما اتفق عليه من قواعد اللغة والتصريف في ثقة خارقة، وعن بصر نفاذ، ولعله كان أشبه أسلافه بأبي عمرو بن العلاء، ويونس بن حبيب، فقد كانا يؤثران أدب العصر الجاهلي ويفضلانه، وكذلك كان المرصفي بهذا الأدب ولع شغوف".

## موسوعيته وإحاطته بدقائق العلوم

"كان الأستاذ المرصفي، قبل هذا و بعد هذا، عالما موسوعيا قادرا على الإلمام بدقائق علوم الشريعة والأصول، والنحو والصرف، ويكشف شرحة للمبرد عن كل هذا، إذ ترينا نصوصه كيف كان يناقش نصوص سيبويه، وابن جنّي، والخليل حتي لو كانت هذه النصوص تتناول أدق التفاصيل من قواعد النحو والصرف، وكان

يقوم بهذا الجهد بأسلوب الند للند دون وجل، أو اعتماد علي ما هو موجود من نصوص الأقدمين".

### ثناء الشيخ عبد العزيز البشري

وقد وصف الشيخ عبد العزيز البشري حال الدراسات الأدبية قبل الأستاذ المرصفي فقال:

".. والأدب في ذلك الوقت أن تقول شعرا مقفي موزونا، فإذا أعوزك العروض، وعميت عليك أوزان الشعر، فحسبك أن يكون المصراع في طول المصراع، علي شرط أن تتغزل، فتتغزل كلما طلبت مديحا أو رثاء أو هجاء، وكان الأدب يحمد من (المجاور) عند أشياخه، إلا أن يسرف فيه، ويجرد له صدرا من وقته، فإنهم كانوا يكرهون ذلك منه، لأنه في الواقع يشغله بقدر ما عن توفير الذهن علي الدرس والاستذكار، ويرون هذا منه آية علي (عدم الفتوح)، وحسبه في العام قصيدة يمدح بها شيخه يوم يختم الكتاب، وقصيدة أو اثنتين يرثي بهما مَنْ يموت من علية العلماء، فإذا أمكن الأستاذ المرصفي في هذا الوسط أن يجعل مؤلفات المبرد، وأبي علي، وأبي تمام، وابن عبد ربه تجد مكانها بين حواشي الإسنوي والصبان والباجوري والسيوطي والطار، فذلك فضل كبير".

### ثناء الدكتور طه حسين عليه في كتابه عن المعري

لا أظن أن أحدا قد حفل بثناء الدكتور طه حسين واعترافه بأستاذيته مثل الأستاذ المرصفي، حتى إنه يقول في كتابه تجديد ذكرى أبي العلاء:

".. أستاذنا الجليل سيد بن علي المرصفي أصح مَنْ عرفت بمصر فقها في اللغة، وأسلمهم ذوقا في النقد، وأصدقهم رأيا في الأدب، وأكثرهم رواية للشعر، ولاسيما شعر الجاهلية و صدر الإسلام.

" كان يدرس الأدب في الأزهر الشريف، وبدأت أختلف إليه، ولما أعدُ السادسة عشرة فلزمته أربع سنين، ما أذكر أنني انقطعت عن درسه، أو تخلفت عن مجلسه، ولم يقف الأمر بيني وبينه على ما يكون بين الأستاذ والتلميذ من صلة، بل نشأ بيننا نوع من المحبة يشوبها في نفسي الإجلال والإكبار، وفي نفسه العطف والحنان، وتبعث كلينا على أن يتعصب لصاحبه، ويناضل عنه، على نحو ما يكون بين الأبناء البررة، والآباء المثقفين".



"سعدت بهذا الحب قديماً، وسأظل سعيداً به طول الدهر، لأنه صادف قلبي في غضارة الطفولة، ونضارة الصبا، ولأنه حب مصدره العلم، لم تفسد عنصره المادة، ولم تكدر جوهره مآثم هذه الحياة".  
"حب الأستاذ ودرسه قد أثرا في نفسي تأثيراً شديداً، فصاغاها علي مثاله، وكونا لها في الأدب والنقد ذوقاً علي مثال ذوقه".

### حديث الدكتور طه حسين عنه في كتابه الادب الجاهلي

وقد تحدث الدكتور طه حسين بحب أشد عن المرصفي في كتابه الادب الجاهلي فيقول:

".. ومذهب القدماء ما كان يمثلته الأستاذ الشيخ سيد المرصفي حين كان يفسر لتلاميذه في الأزهر ديون الحماسة لأبي تمام، أو كتاب الكامل للمبرد، أو كتاب الأمالي لأبي علي القالي، ينحو في هذا التفسير مذهب اللغويين النقاد، من قدماء المسلمين بالبصرة والكوفة وبغداد، مع ميل شديد عن النحو والصرف، وما ألف الأزهريون من علوم البلاغة.

### مديح الأستاذ أحمد حسن الزيات له

أما حديث الأستاذ أحمد حسن الزيات عنه فلا يقل امتناناً لأستاذية الشيخ المرصفي عن أحاديث طه حسين، في مديحه ومديح أسلوبه في الأستاذية، ومن ذلك قوله:  
" كان أستاذنا المرصفي يطبعنا في النظم: على غرار الحماسة، وفي النثر على غرار الكامل، ويزين لنا أن ننظم معلقة كطرفه، أو ننشئ خيراً كأبي عبيدة.

### إعجاب الأستاذ محمود محمود شاكر بإلقائه للشعر

عبر الأستاذ محمود محمود شاكر عن إعجابه بطريقة المرصفي في إلقاء الشعر، وما كانت هذه الطريقة تيسر به تمثل الشعر وفهمه، حيث قال:  
"كان الشيخ حسن التقسيم للشعر حين يقرأه، فيقف حين ينبغي الوقوف، ويمضي حيث تتصل المعاني، فإذا سمعت الشعر وهو يقرأه فهمته، على ما فيه من غريب، أو غموض، أو تقديم، أو تأخير، أو اعتراض فكأنه يمثل لك تمثيلاً لا تحتاج بعده إلي شرح أو توقيف، وكان في صوت الشيخ معني عجيب من الثقة والاعتدال، وفي نبراته حين ينشد الشعر معني الفهم الذي يتلوه عليك، فلا تكاد تخطئ المعاني التي ينطوي عليها، لأنها عندئذ ممثلة لك في صوته".

## رأي الدكتور محمد كامل الفقي

رصد الدكتور محمد كامل الفقي أثر الشيخ المرصفي في التعليم والثقافة في كتابه "الأزهر وأثره في النهضة الأدبية" فقال:

"كان المرصفي يعقد درسه في الرواق العباسي، وقد حدثنا أحد تلامذته الخالص الأديباء "هو العالم المحقق الأديب الفذ الأستاذ محمد محيي الدين عبد الحميد" أن حلقة درسه كانت مهرجانا يضم الأديباء والشعراء على اختلاف بيئاتهم وألوانهم، فلم تكن مقصورة على الأزهريين فحسب، بل كانت ندوة يؤمها عشاق الأدب دميعةً، وكان يقيم بجهة باب الفتوح على مقربة من الأزهر، وبلغت الصلة بينه وبين تلامذته وعشاقه حداً غريباً، فهم لا يقتنعون بما انتفعوا به في دروسهم، ولكنهم يصحبونه إلى منزله، فلا يزالون في حديث أدبي موصول، ودراسة طريفة ممتعة، ويشق عليهم أن يدعوا لأستاذهم فرصة ينفرد بها".

## اختياره عضواً في جماعة كبار العلماء

اختير الشيخ سيد المرصفي عضواً في جماعة كبار العلماء، في ٧ ربيع الأول سنة ١٣٤٣ هجرية، (أكتوبر ١٩٢٤) متوجاً حياة مثمرة بالأستاذية، وكان من حظّه أنه عاش حتى رأى تلاميذه في قمة المجتمع الثقافي والعلمي في مصر.

## صورته البديعة كما رسمها كتابه الأيام

كان من عوامل تفوق كتاب "الأيام" أن الدكتور طه حسين رسم فيه بدأب واقتدار عدداً من الشخصيات التي أثرت في حياته وشخصيته وصنع مجده، وكان في مقدمة هؤلاء أستاذه سيد المرصفي وعبد العزيز جاويش وقد صورهما شخصيتين حيتين فاعلّتين مضطربتين بالرضا والسخط، والفعل والانفعال، والمبادرة والتوجيه، ومن وجهة النظر الفنية، في المقام الأول، فقد تفوق طه حسين في رسمه لهاتين الشخصيتين على رسمه البروتوكولي الممتن والمعجب لشخصيات من قبيل عبد الخالق ثروت باشا أو الأستاذ أحمد لطفي السيد باشا.

## تصوير طه حسين لإقبالهم على دروسه

"وفي ذات يوم من أول العام الدراسي أقبل أولئك الشباب متحمسين أشدّ التحمّس لدرسٍ جديدٍ يُلقى في الضحى، ويُلقى في الرواق العباسي، ويلقيه الشيخ سيد المرصفي في الأدب، (يقصد دروسه عن ديوان الحماسة) وكانوا قد فُتِنوا بهذا الدرس

حين سمعوه فلم يعودوا إلى غرفاتهم حتى اشتروا هذا الديوان، وأزمعوا أن يحضروا  
الدرس وأن يُعنوا به وأن يحفظوا الديوان نفسه، وأسرع أخو الصبيّ كعادته دائماً،  
فاشترى شرح التبريزي لديوان الحماسة وجلده تجليداً ظريفاً، وزين به دولا به ذاك،  
وإن كان قد نظر فيه بين حين وحين. وقد جعل أخو الصبي يحفظ ديوان الحماسة  
ويحفظه لأخيه، وربما قرأ عليه شيئاً من شرح التبريزي، وكان يقرؤه على نحو ما  
كان يقرأ كتب الفقه والأصول، ويَقْفَهُمْ على نحو ما يَقْفَهُمْ هذه الكتب".

"وكان الصبي يحس أن هذا الكتاب لا ينبغي أن يُقرأ على هذا النحو ولا أن يفهم  
على هذا النحو. كان الشيخ الفتى وأصحابه يرون ديوان الحماسة متناً، وكتاب  
التبريزي شرحاً، وكانوا يأسفون على أن أحداً لم يكتب على هذا الشرح حاشية.  
وكانوا كثيراً ما يقصون حديث الشيخ إليهم وعبثه بهم وتندُّره على أساتذتهم وعلى  
كتبهم الأزهرية. يقصون ذلك ضاحكين منه معجبين به، ماضين على الرغم منه في  
درسهم الأزهري لا يفترون عنه ولا يُقصرون فيه.

#### **تكاسل الطلاب العاديين عن حضور دروس الشيخ**

"وكان صاحبنا يسمع أحاديثهم، فيبتهج لهم أشد الابتهاج، ويشتاق إلى هذا الدرس  
أشد الشوق. ولكن أولئك الشباب لم يلبثوا أن أعرضوا عن هذا الدرس كما أعرضوا  
عن غيره من دروس الأدب؛ لأنهم لم يروهُ جدًّا، ولأنه لم يكن من الدروس الأساسية  
في الأزهر، وإنما كان درساً إضافياً من هذه الدروس التي أنشأها الأستاذ الإمام،  
والتي كانت تسمى دروس العلوم الحديثة؛ وكانت منها الجغرافيا والحساب والأدب،  
ولأن الشيخ كان يسخر منهم فيسرف في السخرية، ويعبث بهم فيغلو في العبث".

"ساء ظنه بهم، فراهم غير مُستعدين لهذا الدرس الذي يحتاج إلى الذوق ولا  
يحتمل الفنقلة، وساء ظنهم به، فأروه غير متمكن من العلم الصحيح ولا بارع فيه،  
وإنما هو صاحب شعر ينشد وكلام يقال، ونكت تضحك ثم لا يبقى منها شيء.

#### **ما اشتهر عن حماية الأستاذ الإمام للشيخ المرصفي**

"وكانوا مع ذلك حُرَّاصاً على أن يحضروا هذا الدرس؛ لأن الأستاذ الإمام كان  
يحميه، ولأن الشيخ كان مقرباً من الأستاذ الإمام، ينتهز كل فرصة لينشئ في مدحه  
قصيدة يرفعها إليه ثم يملئها على الطلاب، ويأخذ بعضهم بحفظها على أنها من جيد  
الشعر ورائعه، وكانوا يرونها جيدة رائعة؛ لأنها كانت في مدح الأستاذ الإمام.

" وقد بذلوا ما استطاعوا من الجهد للمواظبة على هذا الدرس، ولكنهم لم يطبقوا عليه صبراً، فانصرفوا عنه وعادوا إلى شايهم يستمتعون به في الضحى على مهل، وانقطع عن صاحبنا ذكر الأدب بعد أن حفظ من ديوان الحماسة جزءاً صالحاً "

### **المحبة بين المرصفي وطه حسين بدأت مع تدريسه للنحو**

" ... أشيع ذات يوم أن الشيخ المرصفي سيخصص يومين من أيام الأسبوع لقراءة المفصل للزمخشري في النحو، فسعى صاحبنا إلى هذا الدرس الجديد. ولم يسمع للشيخ مرة ومرة حتى أحبه وكلف به، وحضر درس الأدب في أيامه من الأسبوع، ولزم الشيخ منذ ذلك الوقت "

"وكان الصبي قويّ الذاكرة، فكان لا يسمع من الشيخ كلمة إلا حفظها، ولا رأياً إلا وعاه، ولا تفسيراً إلا قيده في نفسه. وكثيراً ما كان يعرض البيت وفيه كلمة قد مضى تفسيرها أو إشارة إلى قصة قد قصها الشيخ فيما قدم من درسه، فكان صاحبنا يعيد على الشيخ ما حفظ من قصصه وتفسيره وما قيّد من آرائه وخواطره ونقده لصاحب الحماسة وشراحها، وتصحيحه لرواية أبي تمام، وإكماله للمقطوعات التي كان أبو تمام يرويها.

### **أول من صحب طه حسين إلى المقهى**

" وإذا الشيخ يحب الفتى ويكلف به، ويوجه إليه الحديث في أثناء الدرس، ويدعوه إليه بعد الدرس فيصحبه إلى باب الأزهر، ثم يدعوه إلى أن يصحبه في بعض الطريق. وقد دعاه ذات يوم إلى أن يُبعدَ معه في السير، حتى انتهى الشيخ وتلميذه هذا وتلاميذ آخرون إلى قهوة فجلسوا فيها، وكان هذا أول عهد الفتى بالقهوات. وقد طال المجلس منذ صُلّيت الظهر حتى دعا المؤذن إلى صلاة العصر، وعاد الفتى سعيداً معتبلاً قوي الأمل شديد النشاط "

### **حديثه نقد لاذع لبينة الأزهريين**

" ولم يكن للشيخ حديث إلى تلاميذه إذا تجاوز درس الأدب إلا الأزهر وشيوخه وسوء مناهج التعليم فيه. وكان الشيخ قاسياً إذا طرق هذا الموضوع، وكان نقده لاذعاً وتشنيعه على أساتذته وزملائه أليماً حقاً، ولكنه كان يجد من نفوس تلاميذه هوى، وكان يؤثر في نفس هذا الفتى خاصة أبلغ تأثير وأعمقه.

### الزملاء الثلاثة في دروس الشيخ

" وإذا الفتى يؤثر هذا الدرس على غيره من الدروس شيئاً فشيئاً، ويختص اثنين من التلاميذ المقربين إلى الشيخ بمودته ثم بوقته. وإذا هم يلتقون إذا كان الضحى فيسمعون للشيخ، ثم يذهبون إلى دار الكتب فيقرءون فيها الأدب القديم، ثم يعودون إلى الأزهر بعد العصر فيجلسون في هذا الممر بين الإدارة والرواق العباسي، يتحدثون عن شيخهم وعمًا قرءوا في دار الكتب، ويعبثون بشيوخهم الآخرين، ويعبثون بالداخلين والخارجين من الشيوخ والطلاب. فإذا صلّيت المغرب دخلوا الرواق العباسي فسمعوا درس الشيخ بخيت (مفتي الديار في ذلك الحين) الذي كان يقرأ في تفسير القرآن مكان الأستاذ الإمام بعد أن توفي.

### كيف بث المرصفي الحرية في نفس طه حسين

" وما أعرف شيئاً يدفع النفوس، ولا سيما النفوس الناشئة، إلى الحرية والإسراف فيها أحياناً كالأدب، وكالأدب الذي يُدرّس على نحو ما كان الشيخ المرصفي يدرسه لتلاميذه حين كان يفسر لهم الحماسة أو يفسر لهم الكامل بعد ذلك؛ نقد حر للشاعر أولاً، وللراوي ثانياً، وللشرح بعد ذلك، وللغويين على اختلافهم بعد أولئك وهؤلاء، ثم امتحان للذوق ورياضة له على تعرف باطن الجمال في الشعر أو النثر، في المعنى جُملةً وتفصيلاً، وفي الوزن والقافية وفي مكان الكلمة بين أخواتها، ثم اختبار للذوق الحديث في هذه البيئة التي كان يلقي فيها الدرس، وموازنة بين غلظة الذوق الأزهري ورقة الذوق القديم، وبين كلال العقل الأزهري ونفاذ العقل القديم، وانتهاء من هذا كله إلى تحطيم القيود الأزهرية جملة، وإلى الثورة على الشيوخ في علمهم وذوقهم وفي سيرتهم وأحاديثهم بالحق في كثير من الأحيان، والإسراف والتجني في بعض الأحيان".

### كان له الفضل في أن أصبح لعصبة الثلاثة شأن

" ومن أجل هذا لم يثبت حول الشيخ من تلاميذه الذين كثروا أول الأمر إلا نفرٌ قليل، وامتاز منهم هؤلاء الثلاثة خاصة، فكونوا عصبة صغيرة ولكنها لم تلبث أن بعد صوتها في الأزهر، وتسامع بها الطلاب والشيوخ، وتسامعوا خاصة بنقدها للأزهر وثورتها على التقاليد، وبما كانت تنظم من الشعر في هجاء الشيوخ والطلاب، وإذا هي بغیضة إلى الأزهريين مهيبة منهم في وقت واحد".

## رأي طه حسين في قيمة المرصفي كأديب

" ولم يكن الشيخ أستاذًا فحسب، ولكنه كان أديبًا أيضًا، ومعنى ذلك أنه كان يصطنع وقار العلماء إذا لقي الناس أو جلس للتعليم في الأزهر، فإذا خلا إلى أصدقائه وخاصته عاش معهم عيشة الأديب، فتحدّث في حرية مطلقة عن كل إنسان وعن كل موضوع، وروى لخاصته من شعر القدماء ونثرهم وسيرتهم ما يثبت أنهم كانوا أحرارًا مثله، يقولون في كل شيء وفي كل إنسان لا متنطعين ولا متحفظين، كما كان يقول".

## مثالية المرصفي

" وكان أيسر شيء وأهونه أن يذهب الطلاب مذهب شيخهم، ولا سيما إذا أحبوه وأكبروه، ورأوا فيه المثل الأعلى للصبر على المكروه والرضا بالقليل، والتعفف عما لا يليق بالعلماء، والترفع عما كان ينغمس فيه كثير من شيوخ الأزهر من ألوان السعاية والنميمة والكيد والتقرب إلى الرؤساء وأصحاب السلطان.

" كان تلاميذ الشيخ يرون منه ذلك رأي العين ويلمسونه بأيديهم، ويعيشون معه، في حين كانوا يزورونه في منزله، ذلك المتهمم الخرب القديم في حارة قدرة من حارات باب البحر يقال لها: حارة الرركراكي، هناك في أقصى هذه الحارة كان يسكن الشيخ، يسكن بيتًا قدرًا متهدمًا، تدخل فيه من بابه، فإذا أنت في ممر ضيق رطب تنبعث فيه روائح كريهة، قد خلا من كل شيء إلا هذه الدكة الخشبية الضيقة الطويلة العارية التي قد أسندت إلى حائط يتساقط منه التراب.

## صالون الشيخ المتواضع

" وكان الشيخ ينزل لتلاميذه فيجلس معهم على هذه الدكة، ولكنه يجلس راضيًا مطمئنًا، يسمع لهم باسمًا ويتحدّث إليهم أرقّ الحديث وأعذبه وأصفاه وأبراه من التكلف، وربما كان مشغولًا حين يقبل تلاميذه لزيارته، فيدعوهم إلى غرفته، فيصعدون إليه في سلم متهدم، ويسلكون إليه دهليزًا خاليًا من كل شيء قد انتشر فيه ضوء الشمس، حتى إذا بلغوا غرفته دخلوا على شيخ منحنٍ قد جلس على الأرض، ومن حوله عشرات الكتب يبحث فيها عن مقطوعة يريد أن يتمها، أو بيت يريد أن يفسره، أو لفظ يريد أن يحققه، أو حديث يريد أن يصحح الرأي فيه، وعن يمينه أدوات القهوة.

### روح المودة التي كان الشيخ يضيفها

"فإذا دخلوا عليه لم يقم لهم، وإنما تلقّاهم مستبشراً فرحاً، ثم دعاهم إلى الجلوس حيث يستطيعون، ودعا أحدهم إلى صنع القهوة وإدارتها عليه وعليهم، ثم تحدث إليهم لحظات، ثم دعاهم إلى أن يشاركوه فيما كان بسبيله من بحثٍ أو تحقيق.

" ولم ينسَ الفتى وأحد صديقيه أنهما زارا الشيخ ذات يوم حين صليت العصر، فلما صعدا إليه لقياً شيخاً قد جلس على فراش متواضع ألقى في هذا الدهليز، وإلى جانبه امرأة محطمة قد انحنت حتى كاد رأسها يبلغ الأرض والشيخ يطعمها بيده، فلما رأى تلميذه هش لهما، وأمرهما أن ينتظراه في غرفته شيئاً، ثم أقبل عليهما بعد حين وهو يقول ضاحكاً راضي النفس: كنت أعشّي أُمي.

### كان يعيش المجد مع صعوبة أحواله المادية

"كان هذا الشيخ إذا خرج من داره اتخذ صورة الوقار والدعة، وأمن النفس وطمأنينة القلب وصفاء الضمير... وصورة الغنى واليسار"

" لا يحس من يتحدث إليه إلا رجلاً قد يُسرَّ عليه في الرزق، فهو يعيش عيشة أمن وهناء وهدوء. ولكن تلاميذه وخاصته كانوا يعلمون حق العلم أنه كان من أشد الناس فقراً وأضيقتهم يداً، وأنه كان ينفق الأسبوع أو الأسابيع لا يطعم إلا خبز الجراية يغمسه في شيء من الملح، وكان على ذلك يُعلِّم ابنه تعليماً ممتازاً، ويرعى غيره من أبنائه الذين كانوا يطلبون العلم في الأزهر رعاية حسنة، ويُدلل ابنته تدليلاً مؤثراً،

### طه حسين يفصل القول في دخله المالي

" يصنع هذا كله براتبه الضئيل الذي لم يكن يتجاوز ثلاثة جنيهاً ونصف الجنيه. كان من أصحاب الدرجة الأولى، فكان يتقاضى جنيهاً ونصف جنيه لذلك، وكان الأستاذ الإمام قد كلفه درسَ الأدب فكان يتقاضى لذلك جنيهاً، وكان يستحي أن يقبض راتبه أول الشهر، ويكره أن يختلط بالعلماء وهم يتهاقنون على المباشر ليتقاضوا منه رواتبهم، فكان يدفع خاتمه إلى تلميذ من خاصته ليقبض له هذا الراتب الضئيل في الضحى ويؤديه إليه بعد الظهر".

### الحياة البائسة الحرة الممتازة

" كذلك كان يعيش هذا الشيخ، وكان تلاميذه يرونه ويشاركونه في حياته تلك البائسة الحرة الممتازة، وكانوا يرون ويسمعون من أمر شيوخ آخرين ما كان يملأ

قلوبهم غيظًا وحقْدًا، ونفوسهم ازدراءً واحتقارًا، فأبي غرابة في أن يُفتتوا بشيخهم ويتأثروه في سيرته وفي مذهبه وفي ازدرائه للأزهريين وثورته بما كان لهم من تقاليد! "

### احتذاء نوابغ جيل طه حسين بالمرصفي

" اندفع هؤلاء التلاميذ فيما دفعهم إليه حبهم للشيخ وتأثرهم به، فأسرفوا على أنفسهم وعلى شيخهم أيضًا. لم يكتفوا بهذا العبث الذي كانوا يعيثنونه بالشيوخ والطلاب، ولكنهم جعلوا يجهرون بقراءة الكتب القديمة وتفضيلها على الكتب الأزهرية، يقرأون كتاب سيبويه أو كتاب المفصل في النحو، ويقرأون كتابي عبد القاهر الجرجاني في البلاغة، ويقرءون دواوين الشعراء لا يتخرجون في اختيار هذه الدواوين ولا في الجهر بإنشاد ما كان فيها من شعر المجون أحيانًا في الأزهر. ويقلدون هذا الشعر، ويتناشدون ما ينشئون من ذلك إذا التقوا، والطلاب ينظرون إليهم شزراً، ويتربصون بهم الدوائر، وينتهزون بهم الفرص".

"وربما أقبل عليهم بعض الطلاب الناشئين يسمعون منهم ويتحدثون إليهم، ويريدون أن يتعلموا منهم الشعر والأدب، فيغيظ ذلك نظراءهم من الطلاب الكبار ويزيدهم موجدةً عليهم وانتمارًا بهم".

### كيف نصح طه حسين بعدم دخول الامتحان

".... حتى إذا لم يبق بينه وبين شهود الامتحان إلا سواد الليل، وأقبل عليه شيخه المرصفي رحمه الله فأنبأه هذا النبأ العجيب الذي لم يحمله إليه في ضوء النهار، وإنما حمله إليه في ظلمة الليل، بعد أن صلّيت العشاء. قال الشيخ: إذا أصبحت يا بُني فاستقل من الامتحان ولا تحضره من عامك هذا، فإن القوم يأترون بك ليسقطوك. قال الفتى: وما ذاك؟! قال الشيخ: تعلم أنني عضو في لجنة الامتحان التي ستحضر أمامها غدًا، والتي يرأسها الشيخ دسوقي العربي، فقد دُعيت رئيس اللجنة إلى الشيخ الأكبر وأمر بإسقاطك مهما تكن الظروف. قال الفتى: ولكني سأحضر أمام لجنة أخرى يرأسها الشيخ عبد الحكم عطا. قال الشيخ: فإن هذه اللجنة لن تجتمع؛ لأن رئيسها أباي أن يسمع للشيخ الأكبر حين أمره بإسقاطك، فلما ألحَّ الشيخ الأكبر عليه ألحَّ هو في الإباء، فلما خيره الشيخ الأكبر بين إسقاطك وبين ألا تجتمع لجنته، أثار ألا تجتمع اللجنة، وقال: إنما هو غداء وثلاثون قرشًا! وأباي الفتى أن يستقيل على



رغم إلحاح الشيخ المرصفي عليه في ذلك، ونام ليله هادئاً موفوراً، واستقبل صباحه راضياً مسروراً، وغدا على لجنة الامتحان، وكانت مجتمعة في مكان في الدراسة لا يعرف الفتى أقاتم هو أم درس فيما درس من المنازل والدور.

#### أثاره:

- رغبة الأمل في شرح الكامل للمبرد (في ثمانية أجزاء).
- أسرار الحماسة (شرح الحماسة: طبع منه الجزء الأول والباقي مخطوط).
- شرح الأمالي لأبي علي القالي (مخطوط).
- ديوان شعر (مخطوط).
- الدر الذي انسجم على لامية العجم.
- تحفة العصر الجديد في الفقه والتوحيد.
- القصيدة المرصفية في مدح حامي الديار المصرية أحمد عرابي باشا.

#### وفاته ومكتبته

توفي الشيخ سيد المرصفي عن خمسة وسبعين عاماً ١٠ فبراير سنة ١٩٣١، ودفن في قرافة المجاورين قرب مدفن الخديو توفيق، ويروى أن مكتبته آلت إلى جامعة الإسكندرية، وتتميز بتعليقات مهمة على هوامشها.

## الفصل الثالث

### الدكتور أحمد ضيف

#### أول الاكاديميين المتأهلين في الغرب

الدكتور أحمد ضيف ١٨٨٠-١٩٤٥ هو رمز خطوة الارتقاء الثانية في تاريخ أستاذية تاريخ الأدب بعد خطوة ارتقاء التأسيس على يد الأستاذ المصرفي و بعد بداية الأكدمة على يد الأستاذ حفني ناصف، و قد كان هو نفسه مبعوث الجامعة المصرية القديمة إلى باريس لدراسة الأدب والعودة للاضطلاع بتدريسه، ومن المدهش أن نكتشف أن هذا الأستاذ العظيم قام بدوره على أقوى وأكمل ما يمكن ، فقد فعل كل ما هو مطلوب منه أكاديميا وعلميا، وانتقل فضله إلى اللاحقين به ، وبقي هذا الفضل مع تعاقب الأجيال، ولم يستطع أحد من اللاحقين به، بل لم يستطع أبرزهم، وهو الدكتور طه حسين نفسه ، أن يزيع مكانه من الأستاذية السابقة ، حتى وإن أزاحت سلطة الدولة عن الوظيفة، كما هو معروف.

الدكتور احمد ضيف، بلغة الاكاديميين والتاريخ الاكاديمي ، هو أول الأساتذة الأكاديميين المصريين في اللغة العربية وآدابها ، وهو أستاذ جامعي متأهل لوظيفته من قبل نشأة الجامعة الرسمية، وقد مارس الأستاذية في الجامعة قبل أن تتحول إلي جامعة حكومية، وقد ذكرنا ما هو ثابت من أن الجامعة الأهلية هي التي مولت بعثته ليعود إليها مدرسا بها، وهو أيضا و بلا جدال أستاذ رائد بحق في الدراسات الأدبية والنقدية والحديثة، كما أنه صاحب محاولات قصصية مبكرة، و كاتب سيرة ذاتية متميزة، و مترجم لبعض الأعمال الإبداعية عن الفرنسية، وقد دفع هذا أستاذا أكاديميا مرموقا هو الدكتور أحمد هيكل أن يجعل عنوان كتابته عنه : أحمد ضيف وأوليائه. على يد الدكتور أحمد ضيف تحققت إنجازات كثيرة في تاريخ أستاذية تاريخ الأدب على نحو ما سنرى وعلى نحو ما هو معروف. وسنبداً بأن نذكر ثلاث لقطات مؤثرة في اعتراف أساتذة الأدب بفضل هذا الأستاذ.

### تعويل الدكتور شوقي ضيف على صياغته للمصطلحات

الأولى للدكتور شوقي ضيف حين كنا في لجنة الأدب في مجمع اللغة العربية وأردنا ضبط تعريف أحد المصطلحات بما هو متاح لنا وأماننا، وإذا بالدكتور شوقي وهو رئيس المجمع ورئيس اللجنة يشير إلى ضرورة الاستعانة بالصياغة الأولى التي صاغها الدكتور أحمد ضيف في أول كتاب عربي تناول الظاهرة. كتبت الجملة السابقة على وجه العموم ومن دون تحديد للمصطلح عن قصد لأن هذا التوجيه تكرر في أكثر من مصطلح وليس في مصطلح واحد. وكان الدكتور شوقي ضيف وهو نفسه الذي استصفي واستقطر جهود الأولين يفعل هذا مع الدكتور أحمد ضيف دون أي تفضل أو استعلاء.

### شهادة الدكتور أحمد هيكل

حدثت قبل هذا، حين أراد الدكتور أحمد هيكل تخصيص حلقة من حلقات "شخصيات أدبية" التي كان قد بدأ كتابتها في الأهرام، للدكتور أحمد ضيف فإذا هو بهداية الله يجعل جوهرها للدكتور أحمد ضيف وأوليائه، مشيرًا إلى سبق الأستاذ أحمد ضيف في كل ما هو ممكن من آفاق ومؤكدات أستاذية الأدب.

### الدكتور الطاهر مكي

وحدث قبل هذا أننا تحدثنا في مناقشة مبكرة لنا مع أستاذنا الدكتور الطاهر مكي حول ما اكتشفناه في أثناء دراستنا لمجلة الثقافة ١٩٣٩-١٩٥٣ من وجود حلقات في المجلة من رواية للدكتور أحمد ضيف عن تعرضه للغرق في رحلة بحرية، وعن إعجابنا بالمستوى الذي تمتعت به كتابة هذا الرجل عن ذاتياته، فإذا به ينبهني إلى أن أحمد ضيف كان سابقًا على طه حسين في كتابة التجربة الذاتية التي لم يقتحمها طه حسين إلا بعده.

### إزاحته تمت بعد تحقيقه لإنجازه

حدثت النقلة التالية في تاريخ مؤرخي الأدب بإزاحة طه حسين لأحمد ضيف، وهي نقلة معروفة الأثر عند الجميع، وإن لم تكن قصتها معروفة بالكامل، لكنها كانت أثرًا من آثار السياسة العاصفة التي كان لا بد لها أن توجد في كيان علمي جديد أصبح يتبع الحكومة بعد أن كان حراً، فلا بد لرأس الحكومة (وهو الملك) أن يضع بصمات اختياره عليها.

ومن المفارقات التي لا تتكرر كثيرا في تاريخ الأمم والحضارات أن الملك فؤاد نفسه كان في وضع شبيهه بأن يكون هو الذي تسلم الجامعة المصرية وسلمها، فقد كان هو الملك الذي أُستصدر منه قرار إنشاء الجامعة المصرية (الجديدة) وكان هو نفسه باعتباره رجل مجتمع مدني هو رئيس مجلس إدارة الجامعة المصرية (القديمة). وكذلك كان وضع عبد الخالق ثروت باشا رئيس الوزارة ورئيس مجلس إدارة الجامعة، وكان كلاهما مقتنعا بأن من حق طه حسين هذا الازهري السريوني سليط اللسان المؤيد لكليهما والمناوئ للأغلبية ولزعامة سعد باشا زغلول أن يكون في مكان متميز في هيكل الجامعة.

وقد أتاحت ثنائية التسليم والتسلم للملك فؤاد أن يتدخل بنعومة في هيكل الجامعة الجديدة أو كادرها ، وكان أبرز تدخل له هو أنه حين نُقل طه حسين من الجامعة الأهلية القديمة التي كان على قوتها إلى الجامعة الحكومية الجديدة نجح في أن ينقله على درجة أستاذ ، وليس على درجة مدرس كما كان متوقعا، وهكذا نال طه حسين الأستاذية الرسمية مباشرة من دون حاجة إلى ترقيات ، وذلك بفضل الملك فؤاد وإن كان قد نال الأستاذية العقلية من قبل بفضل جهده وبعثته وعلمه و شخصيته وتلمذته للشيخ جاويش و للأستاذ المرصفي وللأستاذ أحمد لطفي السيد ..... الخ على أن هذا التصرف الملكي حدث على نحو أحادي النظرة فلم يكن يهم الملك فؤاد، ولا من هو في مكان الملك فؤاد، أن يُظلم الأستاذ الأكاديمي المتفرغ لعمله والمخلص له، الذي يكبر طه حسين (على الورق) بعقد من الزمان (ولد أحمد ضيف ١٨٨٠ بينما سُجل مولد طه حسين ١٨٨٩). وإنما كان الملك فؤاد شأن رجال الدولة الأذكياء منحاوًا إلى ما يراه ويعتقده في اللحظة التي يتخذ فيها قرارا ما.

ومن الطريف أن هذه القصة على نحو ما رويناها نالت ولا تزال تنال إعجاب أساتذة الأدب، شأن إعجاب العلماء بالحقيقة حين يصلون إليها، لكن هذه القصة الحقيقية لا تتناسب مع الحكمة المسرحية واللذة التي يجدها أساتذة الأدب والأدباء في القصة الفرعية الشائعة وهي أن طه حسين هاجم كتابا ألفه زميله الأسبق منه بعنف، فكان هذا مبررا لنقل أحمد ضيف من الجامعة الى المعلمين العليا، ونقل الدكتور طه حسين من قسم التاريخ القديم ليحل محله في قسم الأدب.

## قصة هجوم طه حسين على كتابه الثاني

يروى النقاد ومؤرخو الأدب عن بعضهم البعض أن كتاب بلاغة العرب في الأندلس كان بمثابة نكبة على صاحبه، فمع أن الصحافة الأدبية رحبت بالكتاب، فإن الدكتور طه حسين، وهو في ذلك الوقت الزميل التالي لأحمد ضيف في الجامعة المصرية القديمة (الأهلية)، كتب عنه مقالا نقديا قاسيا في جريدة السياسة (١٩٢٥)، وكان طه حسين لا يزال يشغل وظيفة مدرس التاريخ القديم بالجامعة، على حين كان أحمد ضيف مدرسا للأدب.

وصف طه حسين منهج أحمد ضيف بأنه يرسل القول على علاته وتظاهر بأنه ينصحه بأن يحرص في كتبه المقبلة على الأمانة العلمية التي تتقصه والتي تكفل من غير شك لمؤلفاته ما هي أهل له من الإتيان والفوز.

وفي هذا المقال لم يتورع طه حسين عن أن يصف أحمد ضيف بأن شخصيته العلمية مهتزة غير واثقة بنفسها، لأنه في وصف طه حسين: شديد السأم، كثير الملل، لا يكاد يلم بالموضوع حتى يسأمه ويزهد فيه، وينتقل منه إلي موضوع آخر فيسأمه ويزهد فيه، وتكون نتيجة هذا السأم آراء كثيرة ظاهرة الجدة، لكنها غير ناضجة ولا واضحة ولا قابلة للبحث.

## عبارات النقد : موقِّق في التعليم، غير موقِّق في التأليف

كان هذا المقال في حقيقته تجنيا نقدياً لاذعاً نشر في يناير ١٩٢٥ في جريدة "السياسة" التي كان الدكتور طه حسين هو المحرر الأدبي لها، وهي المجلة التي رأس تحريرها محمد حسين هيكل منذ صدورها عام ١٩٢٢. وقد نشر المقال تحت عنوان "النقد والأدب والحرية"، وفيما بعد فقد نشره الدكتور طه حسين في الجزء الثالث من كتابه حديث الأربعاء.

وفي هذا المقال يقول الدكتور طه حسين:

"الصديقي الأستاذ أحمد ضيف حظان مختلفان أشد الاختلاف: حظ في الجامعة حيث يُعلّم الطلبة ويصبرهم بمناهج البحث الأدبي، وحظ خارج الجامعة حيث يذيع كتبه ومباحثه الأدبية. أما حظه في الجامعة فحسب جدّ خليق بالغبطة؛ لقد وفق الأستاذ لأن يفتح أمام تلاميذه مناهج جديدة للبحث سلكوها فوقوا فيها لخير كثير، أما حظه من الناحية الأخرى سيء مع الأسف. هو موقِّق في التعليم، غير موقِّق في التأليف".

" ولقد فرغت الآن من مقدمة كتابه الآخر " بلاغة العرب في الأندلس ". ويؤلمني أني لم أفهم منها شيئاً، أو أني لم أستقرأ منها على شيء".

### **المقال كان متسقاً مع ما دبر ولم يكن سبباً للتدبير**

وعلى عادة كتاباتنا الصحفية والتاريخية فان كثيرين صوروا هذا المقال ولا يزالون يصورونه (كما ذكرنا من قبل) على أنه كان سبب نكبة الدكتور ضيف بينما كان الامر مختلفاً عن هذا تماماً، وكل ما يمكن تاريخياً ان يقال هو ان هذا المقال كان شوشرة مضمونة على سمعة رجل كان رأي الملك فؤاد وثروت باشا قد استقر على أن تؤخذ منه وظيفته لغيره، أي أن هذا المقال كان متسقاً مع ما كان قد دبر ضد أحمد ضيف لمصلحة طه حسين نفسه، ولم يكن سبباً لهذا التدبير.

### **حقيقة علاقته بطه حسين من نص لظه حسين نفسه**

وهذا نص من نصوص طه حسين:

"الدكتور أحمد ضيف أخ لي لا تصل بيني وبينه حياتنا الجامعية المصرية وحدها، بل تصل بيني وبينه حياة قضيناها معاً في فرنسا كان فيها الطلو والمرّ، وكان فيها الخير والشر، وكنا نبلو حلوها ومرها ونحتمل خيرها وشرها أخوين صادقين، لا يعدل أحدهما بصاحبه إنساناً ولا بمودة صاحبه شيئاً آخر".

### **حلول طه حسين محلّه وهجومه عليه**

كما ذكرنا فإنه لما كانت الجامعة المصرية علي وشك التحول إلي حكومية تابعة لوزارة المعارف، صدر قرار بنقل أحمد ضيف إلي مدرسة المعلمين العليا، وتعيين طه حسين بدلاً منه في وظيفة مدرس الأدب بالجامعة، كذلك فإن الملك فؤاد كان هو من رفع درجة طه حسين في لحظة واحدة من مدرس إلي أستاذ، تقديراً منه لهجومه الحاد علي زعيم الأمة سعد زغلول وهو الهجوم الذي كان الملك يطرب له ، وقد ظل الدكتور أحمد ضيف يعمل في مدرسة المعلمين العليا حتي عام ١٩٣٢ حيث نقل إلي دار العلوم، في ذلك العام الذي شهد أيضاً نقل الأستاذ أحمد الإسكندري ليخلف الدكتور طه حسين في كلية الآداب ، وقد ظل الدكتور أحمد ضيف أستاذاً في دار العلوم حتى اختير وكيلاً لها (١٩٣٨).

## عودته لكلية الآداب عند تقاعده

لما أحيل الدكتور أحمد ضيف إلى التقاعد ببلوغه الستين اختير للعمل أستاذا متفرغا بكلية الآداب (١٩٤٠) وظل يعمل بها إلى أن توفي، ويرى البعض أن هذا التعيين كان محاولة للتكفير عن الظلم الذي فرض على الرجل.

## تكريمه

نال الدكتور أحمد ضيف كثيرا من التكريم والتقدير ونال درجة البكوية، وكان هذا طبيعيا في عصر أساتذة الأدب البكوات!! شأنه في هذا شأن زملائه من الأساتذة الذين زاملوه ولحقوا به: طه حسين (الذي نال الباشوية وهو وزير وفدي)، وأحمد أمين، وعبد الوهاب عزام، وأحمد الشايب.

## نشأته

ولد الدكتور أحمد علي إسماعيل ضيف عام ١٨٨٠ في بيت من بيوت الصوفية بالإسكندرية، وفي الأعلام للزركلي أنه ولد في القاهرة، لكنه قول مرجوح بكثرة ما هو مروى وموثق عن ولادته في الإسكندرية.

تلقي الدكتور احمد ضيف دراساته الأولى بالإسكندرية، ثم رحل إلى القاهرة ليلتحق بالأزهر، وأتيحت له الفرصة لأن يتلمذ علي الشيخ محمد عبده، وتأثر بشخصيته وأرائه ونزعتة التجديدية في دراسة الأدب، والتحق بدار العلوم وتخرج فيها سنة ١٩٠٩ (أي في التاسعة والعشرين)، في الدفعة التالية لدفعة الشاعر علي الجارم الذي ولد بعده بعام وتخرج ١٩٠٨ وهو في السابعة والعشرين ١٨٨١.

فاز الدكتور احمد ضيف ببعثة الجامعة المصرية الأهلية لدراسة الآداب في فرنسا، ضمن سبعة من المبعوثين، وكان أول مبعوث مصري لدراسة الآداب، وفي فرنسا قضى ثمانية أعوام، وفي سنة ١٩١٤ نال دبلوم الآداب من جامعة باريس.

## الدكتوراه

في سنة ١٩١٧ نال الدكتور احمد ضيف درجة دكتوراه الجامعة عن رسالة له عن "الشعر الغنائي والنقد الأدبي عند العرب"، ويترجم البعض العنوان ترجمة أخرى لا تختلف كثيرا وهي "المذهب الوجداني والنقد الأدبي عند العرب".

وقد كان الدكتور احمد ضيف أول مصري يحصل على هذه الدرجة في هذا التخصص من جامعة باريس.

## عودته من بعثته

عاد الدكتور احمد ضيف من فرنسا فعين مدرسا للأدب بالجامعة المصرية (الأهلية / القديمة)، وليكون منذ نوفمبر ١٩١٨ أول مدرس للأدب في الجامعة المصرية، ويقال إن سلفه المباشر في تدريس في تدريس الأدب العربي كان هو الشيخ مصطفى القاياتي من خلال محاضراته التي جمعها ونشرها بعد ثلاث سنوات في كتابه "مقدمة لدراسة بلاغة العرب". وهو أول جهد جامعي مصري في تقديم الأدب على أساس المناهج الأوروبية الحديثة.

وكان طه حسين (الذي لحق به إلى فرنسا وتزامن معه فيها) لا يزال طالباً في بعثته في فرنسا، فقد أوفدته الجامعة بعد أحمد ضيف بنحو خمس سنوات، حيث درس علم الاجتماع والتاريخ القديم.

بدأ أحمد ضيف في تدريس الأدب العربي، وألقي في الجامعة محاضراته التي جمعها تحت عنوان مقدمة لدراسة بلاغة العرب، وكان يعني بمصطلح البلاغة ما يقابل ما يطلق عليه الآن مصطلح الأدب، وقد ظل متمسكا بمصطلحه هذا في سلسلة محاضراته التي ألقاها بعد سنوات قليلة حول بلاغة العرب في الأندلس أدي أحمد ضيف وظيفته الجامعية بهمة واقتدار بشهادة طه حسين نفسه في المقال الشهير الذي أوردنا بعض فقراته، ومن دون أن يحدث جلبة حول أدائه أو آرائه على نحو ما ابتلي به الدكتور طه حسين عندما حل محله.

## أستاذيته المبكرة و سببه لظه حسين في تقديم الأفكار

الواقع أن أستاذية الدكتور أحمد ضيف المبكرة مكنته من أن يسبق الدكتور طه حسين إلي تقديم كثير من الأفكار التي كانت نتيجة طبيعة للاحتكاك بالمنهج الغربي في دراسة الأدب وتدريسه، وإن كان طه حسين بحكم شهرته التالية قد أذاع بعض هذه الأفكار وجعلها مرتبطة باسمه وكأنها أفكاره هو، وهو الأمر الذي جعله يستأثر بكثير من هذا المجد، كما انها مكنت كثيرين ممن يهاجمون طه حسين بغير الحق يدعون أنه أخذ (بلفظهم: سرق) أفكاره من أحمد ضيف، وهو قول يجمع بين الضلال والتجاوز.



## نجاحه في تأصيل المصطلحات النقدية

اتضح في تلك الفترة قدرة الدكتور أحمد ضيف على النجاح في تحقيق كثير من متطلبات الحياة الأكاديمية والجامعية فيما يتعلق بدراسة الأدب، وعلى سبيل المثال فإنه قد أثبت ريادة لا يجادل أحد فيها في تأصيل المصطلحات النقدية.

## ريادته للدراسات الأدبية الحديثة

أثبت الدكتور أحمد ضيف ريادة لا يجادل أحد فيها في التعريف بالمدارس الغربية وأساليبها في الدراسات الأدبية، كما كان رائدا في الدراسات الأدبية الحديثة، وهو أول من عرف بما يمكن أن يسمى "النظرية الأدبية"، كما كان أول من عرف الدارسين المصريين بالمناهج الحديثة في دراسة الأدب والنقد.

## الأدب الأندلسي

كان الدكتور أحمد ضيف أول من ألف في الأدب الأندلسي بشكل منهجي.

## كان اول من دعا الى الاهتمام بالأدب الشعبي

كان الدكتور أحمد ضيف أول من دعا إلي وجوب الاهتمام بالأدب الشعبي.

## كتب مقدمة لأول كتاب في الأدب الشعبي

كتب أحمد ضيف (١٩٣٦) مقدمة لأول كتاب في الأدب الشعبي كان عنوانه: "تاريخ أدب الشعب" وقد ألفه حسين رياض ومصطفى الصباحي. كما كتب مقالا عن أدب العامة أجمل فيه ما أسماه خصائص الإنسان المصري، وأوضح أن هذه الخصائص لم تجد متنفسا إلا عند أدباء العامية.

## دوره في نشأة دراسات الأدب المقارن

أجريت بحوث أكاديمية عن أثر دراسة أحمد ضيف للأدب في كتابه "مقدمة إلى بلاغة العرب" الصادر سنة ١٩٢٠، فأثبتت هذه الدراسات دوره في نشأة الدراسات المقارنة في العالم العربي الحديث. كما اثبت الباحثون أنه يشكل حلقة منهجية مهمة في التمهيد لنشوء الأدب المقارن مفيدا من التجارب النقدية لمن سبقه من النقاد.

## تأثره الذكي بالغربيين

افاد الدكتور أحمد ضيف بذكاء من مناهج النقاد الفرنسيين من أمثال هيولت تين، وسانت بيف، وفرديناند برونثير، وجول ليدر، ومدام دي ستايل، وأرنست رينان، وحاول بلورة معالم منهج جديد من أجل قراءة نصوص الأدبي العربي.

## اهتمامه بالمسرح

تجلى اهتمام الدكتور أحمد ضيف بالمسرح في ترجمته لكتاب "هوارس" لكورني.

وله مقالة بعنوان "هل فشلنا في التأليف المسرحي؟"، نشرت في مجلة الهلال عام ١٩٤٣.

## كتابه عن العوامل المؤثرة في الأدب

كتب الدكتور أحمد ضيف كتابه مبكرة في هذا الموضوع في مجلة دار العلوم أبريل سنة ١٩٣٧.

## الأدب القومي وعلاقة الأدب بالمجتمع

كان أحمد ضيف أول من تنبه من النقاد العرب إلى الأدب القومي وعلاقة الأدب بالمجتمع، وكان ذلك في كتابه الأول، فقد أفرد لهذا الموضوع فصلا بعنوان: "البلاغة والاجتماع"، متأثرا بالفرنسي هيبوليت تين، عندما بين أن الظاهرة الأدبية هي ظاهرة اجتماعية، وعلى ذلك فالحركة الكتابية هي الاجتماع نفسه بما فيه، أي أنها صورة أصلية وحقيقة من الحقائق الثابتة، تمثل كل ضروب الحياة، وحركات عقول الأفراد من علماء وأدباء وفنانين وفلاسفة وغيرهم.

وقد قدم أحمد ضيف رؤية نقدية لعلاقة الأدب بالمجتمع، وقال إن مصطلح "صورة" يشير إلى الانعكاس، ويبين قدرة الأدب على تبين الواقع وتصويره، أما مصطلح "حقيقة" فهو يقابل مصطلح الواقع، حتى إنه ترجم مصطلح الواقعية في ثنايا الكتاب باسم "مذهب الحقائق" الذي من غرضه إظهار الشيء كما هو.

## كتابه المرجعيان : المؤلفات العلمية

على سبيل الاجمال عرف لهذا الأستاذ على نطاق واسع كتابه الأولان "مقدمة لدراسة بلاغة العرب" ١٩٢١، وهو المحاضرات التي ألقاها على طلاب الجامعة أثناء تدريسه لهم عام ١٩١٨، "بلاغة العرب في الأندلس" عام ١٩٢٤.

وقد صدر هذان الكتابان من قبل ان يصبح طه حسين أستاذا للأدب، وجمع فيهما محاضراته لطلابه في الجامعة، وقد صدر أولهما سنة ١٩٢١، وفيه قدم مدخلا لدراسة الأدب العربي من خلال محاولة إحياء "الطريقة النقدية" محل الطريقة النقلية، مع محاولة للتعريف بمناهج الدرس الأدبي المعاصر، ومع تأثر بالنزعة

القومية السائدة في مناخ ثورة سنة ١٩١٩ التي تدعو إلى إحياء الروح المصرية في دراسة الأدب العربي.

أما الكتاب الثاني فنشر عام ١٩٢٤، وكان أحمد ضيف لايزال متمسكا بمصطلح البلاغة، وإن كان قد بدأ يدرك أن مصطلح الأدب هو الذي يحظى بانتشار أوسع، ومن هنا فقد بدأ يزواج بين المصطلحين في كتبه.

### من مؤلفي المجلد والمفصل والمنتخب في تاريخ الأدب العربي

كان أحمد ضيف واحدا من المؤلفين الخمسة الذين اشتركوا في تأليف الكتاب العظيم "المجلد في تاريخ الأدب العربي" وقد اشترك معه الأساتذة طه حسين، وعلي الجارم، وأحمد الإسكندري، وعبد العزيز البشري.

كما اشترك أحمد ضيف مع الأساتذة أحمد الإسكندري وعلي الجارم ومصطفى أمين في تأليف "المفصل في تاريخ الأدب الحديث"، و"المنتخب في أدب العرب" في أربعة أجزاء.

### المشاركة في الحياة الثقافية من خلال الصحافة

وإلى جانب محاضراته في الجامعة حرص الدكتور أحمد ضيف على المشاركة في الحياة الثقافية من خلال الصحافة، فبدأ ينشر في جريدة السفور منذ مايو سنة ١٩١٩ مجموعة من الكتابات كان يذيلها بتوقيع مختصر هو الحروف الأولى: أ. ض، وفي هذه السلسلة من المقالات نشر ضيف محاولاته الإبداعية القصصية، وناقش تجربة الشرقيين في مواجهة المجتمعات الغربية، خاصة في مجال الحياة العاطفية.

### كان من فريق مجلة السفور

ومن الطريف أن إسهامات الدكتور أحمد ضيف أحمد ضيف الصحفية في مجلة السفور (١٩١٩، ١٩٢٠) شملت نشر بعض قصص تحت عنوان "فلان وفلانة". ومن الجدير بالذكر أن مجموعة كتاب مجلة السفور (١٩١٣ - ١٩٢٥) التي أصدرها عبد الحميد حمدي، كان لها شأن في الحياة السياسية حتى أنها أسست حزبا في مرحلة مبكرة لم يحظ بالحياة ولا بالشهرة هو "الحزب الديموقراطي". وقد نشرنا في مرحلة مبكرة مقالا عن هذا الحزب استندنا فيه بصفة أساسية لما رواه عنه الدكتور هيكل باشا.

## دوره في مجلة الثقافة

تجدد نشر الدكتور أحمد ضيف لمحاولات القصصية عند تأسيس مجلة الثقافة (١٩٣٩)، وفيها نشر قصة طويلة بعنوان "أنا الغريق" عن تجربة فتي مصري عائد من فرنسا ونجاته من الغرق في سفينة في أثناء نهاية الحرب العالمية الأولى، وقد كان هو نفسه هو هذا الفتي بالطبع، وقد نشرت هذه القصة مسلسلة في الأعداد الثاني والثالث والرابع والسادس والثامن من مجلة "الثقافة".

كذلك نشر الدكتور أحمد ضيف قصة "قبل التعارف وبعده" عن علاقة حب فتي مصري لفنائة فرنسية ونحن نعرف أن كلمة التعارف تطلق على ميدان شهير في باريس قريب من الحي اللاتيني حيث يعيش طلاب البعثات من كل حذب وصوب.

## آثاره القصصية والروائية والمسرحية

- "أنا الغريق"، وهي رواية أشبه بسيرة ذاتية، وهي الرواية التي كان ينشرها في مجلة الثقافة عند أحمد أمين عام ١٩٣٩،
- "قبل التعارف وبعده" وهي قصة طويلة، تقدم نموذجًا مبكرًا للصراع بين الشرق والغرب
- "شاب مفتون": قصة تمثيلية من فصل واحد نشرها في الهلال عام ١٩٣٦ و قدمها هكذا "قصية تمثيلية في فصل واحد".

## الترجمة

وفي مجال ترجمة الأعمال الأدبية نشر أحمد ضيف (١٩٣٧) ترجمة لمسرحية هوراس للكاتب الفرنسي كوري، كما تولي مراجعة ترجمات روايات كثيرة نشرتها وزارة المعارف.

## سبقه في كتابة السيرة الذاتية

لم تقف أسبقية أحمد ضيف لطفه حسين عند حدود الريادة في التعليم الجامعي ودراسة الأدب والمحاولات القصصية، وإنما تعدت هذا أيضا إلي كتابة السيرة الذاتية، فقد سبق أحمد ضيف إلي تسجيل سيرته الذاتية كطفل وصبي من خلال روايتين كتبهما بالفرنسية بالاشتراك مع فرانسوا بونجان (١٨٨٤ - ١٩٦٣)، وهو أديب فرنسي كان يعمل في مصر، وكان صديقا لأحمد ضيف، الأولى بعنوان "منصور: قصة طفل من مصر" ١٩٢٤ والثانية "منصور في الأزهر" ١٩٢٧.

ومن الجدير بالذكر أن هذا الأديب الفرنسي نشر (بمفرده) قصة ثالثة تبدو وكأنها تكملة للقصتين السابقتين جعلها بعنوان الشيخ عبده المصري وهي على نحو ما يبدو من اسمها عن حياة الشيخ محمد عبده.

وهكذا يسهل على من يريدون التقليل من شأن الدكتور طه حسين ان يشيروا الى الحقيقة المعروفة وهي أن طه حسين لم يبدأ نشر الأيام مسلسلته في مجلة الهلال الا بداية من ديسمبر ١٩٢٦. أما رواية الدكتور ضيف الأولى فقد صدرت الطبعة الأولى منها ١٩٢٤ ولاقت ترحيباً من النقاد والقراء على السواء، مما شجع على إعادة نشرها في طبعة ثانية "، وحدثت قطيعة بين الرجلين الشريكين فانفرد فرانسوا بونجان بإصدار الرواية الثالثة وهي بعنوان " الشيخ عبده المصري " إلا أن النقاد يعتقدون أن القصة الأولى تروي جوانب من طفولة "أحمد ضيف وصباه". أما الرواية الثالثة "الشيخ عبده المصري" فقد ظهرت في عام ١٩٢٩، وكانت واستوحت شخصية الإمام محمد عبده، وبنيت على صورة الفتى الأزهرى التي ترسخت في الروايتين الأوليين.

#### **حديث الأستاذ محمد أمين حسونة عن رواية منصور**

يشيع في كثير من الكتابات أن الرواية من ثلاثة أجزاء وأن احمد ضيف مشارك في الأجزاء الثلاثة، والسبب في هذا على ما نعتقد هو ما ذكره الأستاذ محمد أمين حسونة في مقال مبكر له عام ١٩٤٨ بمجلة الثقافة عن "مصر في الأدبين الإنجليزي والفرنسي " أن لأحمد ضيف رواية ضخمة (بالفرنسية) من ثلاثة أجزاء وضعها بالاشتراك مع بونجان ، وأنها دراسة قيّمة في الأخلاق والعادات المصرية، واستعراض شاب نشأ وترعرع في الإسكندرية ثم تعلّم في الأزهر

#### **التعريف بفرانسوا بونجان شريكه في تأليف روايته**

أورد الأستاذ على شلش في كتابه "أحمد ضيف والمحاولات الباكورة في النقد الحديث" ملخصاً لتعريف الكاتب الفرنسي جان لوتي في كتابه "مقدمة للأدب المكتوب بالفرنسية في مصر " بفرانسوا بونجان وهو ما يتلخص في أنه: "مؤلف فرنسي "محدود القيمة، بدأ حياته الأدبية برواية عن أسرة في الحرب العالمية الأولى، بعنوان، "تاريخ اثنتي عشرة ساعة" وكتب لها رومان رولان (١٨٦٦-١٩٤٤) مقدمة، وبعد الحرب جاء بونجان إلى مصر عام ١٩١٩ وعاش في القاهرة

خمس سنوات وعمل في إحدى مدارسها كمدرس للغة الفرنسية وكانت تربطه بالدكتور ضيف علاقة صداقة قوية في هذه الفترة، فأصدرا روايتهما المشتركة بالفرنسية .

ويرى أستاذنا الدكتور علي شلش أن بونجان كان يبحث عن مادة جديدة وطريقة لرواية جديدة بعد روايته التي قدم لها رومان رولان، فاقترح على صاحبه تأليف رواية عن الحياة المصرية، وشرع الاثنان في تأليف رواية عن تلك الحياة، وقد أغراها النجاح التجاري الذي حظيت به الرواية، إلى تأليف الرواية الثانية، واستغلالاً لهذا النجاح وضع اسم البطل منصور كعنوان لها "منصور في الأزهر".

### رأي جان لوتي في طبيعة اشتراك الكاتبين

يقول جان لوتي، أن اشتراك أحمد ضيف كان يتم بطريقة شفوية، وأن جهد ضيف قد انصب على المادة، في حين انصب جهد بونجان على الصياغة.

### رأي الناقد علي شلش

تبدو قيمة هذه الرواية في أنها مجموعة صور حيّة للعادات والأخلاق المصرية في الطبقتين الشعبية والمتوسطة. وقد سجّل المؤلف في هذه الرواية بصورة خاصة تعاليم الإمام الشيخ محمد عبده في شخصية هذا الشاب، وكيف حاول الشيخ أن ينتقل بالروح المصرية من التقليد إلى الاجتهاد، أما عن بناء الروائيتين: "فليس ما ينبئ عن موهبة عظيمة في البناء، أو رسم الشخصيات، وليس فيهما ما كان يميز الروايات الجيدة في عصرهما من عقدة محكمة، وحدث كبير يتدرج ويتطور مفضياً إلى نهاية مريحة، وكل ما تتميزان به أنهما تصوران مادة طريفة وأجواء غريبة، توحى بسحر الشرق وغرابته، اللذين كانت "ألف ليلة وليلة" فاتحتهما في أذهان الغربيين. وهما أقرب إلى السيرة الذاتية، ولا سيما في استخدام ضمير المتكلم في السرد، والتراكم الكمي في الواقع"

وقال جان لوتي فيما يرويهِ الأستاذ علي شلش أن أحمد ضيف كان قد استغل وجوده في الخارج فبعث بسلسلة من المقالات عن باريس إلى المجلات المصرية

### إنصاف الدكتور علي شلش للدكتور ضيف

كنا قد كتبنا عن إسهامات الدكتور أحمد ضيف في كتابنا عن مجلة الثقافة، لكن الدكتور علي شلش كان أكثر النقاد انصافاً للدكتور أحمد ضيف وقد كتب عنه أكثر

من مرة. فكتب عنه كتابا في سلسلة نقاد مصريون، وكتب عنه في مجلة إبداع عن روايته المجهولة "أنا الغريق" بعنوان "رواية مجهولة لأديب منسي"، ومرة ثالثة في مجلة فصول بعنوان "أحمد ضيف المحاولات الباكرة في النقد الحديث" (عدد يوليو ١٩٩١).

ويقول شلش ان مقالات الدكتور ضيف تكشف عن رؤية اجتماعية واضحة محددة وتؤكد اهتمامه العام بالمجتمع وقضاياها، ذلك الاهتمام الذي استمر معه في دراساته الأدبية والنقدية.

### آراؤه الاجتماعية

- نشر الدكتور أحمد ضيف مقالات متفرقة في قضايا الحياة العامة:
- مقاله في السفور (١٩١٩) حول فضل المعلمين المعممين
  - مقاله في الهلال (١٩٣٥) حول باريس مدينة الفن والجمال
  - مقاله في الهلال (١٩٣٩) حول النتائج الاجتماعية للحرب
  - مقاله بمجلة "الثقافة" (١٩٤١) بعنوان "إلى القرية" قدم فيها صورة نقدية للريف المصري.

### زكي مبارك يراه افضل من احمد امين

كان الدكتور زكي مبارك من أهم المدافعين عن أحمد ضيف، بل أنه رفع من شأنه على حساب أحمد أمين، بل انه اندفع كعادته فاتهم أحمد أمين بالسطو على بعض آراء أحمد ضيف، خاصة ما نسب إليه من قول إن "العرب ليس لها أساطير في شعرها ولا في عقائدها"، وهو القول الذي نسبته أحمد أمين لنفسه، في حين أن أحمد ضيف جاهر به وقال إنه من كلام بعض المستشرقين مثل رينان ومن جرى على مذهبه.

### إشادته بزكي مبارك

وفي مقابل تعسف الدكتور طه حسين مع الدكتور زكي مبارك الذي كان من خريجي الجامعة المصرية الأهلية (وليس كلية الآداب كما يشيع في كل الكتابات المعاصرة)، فقد كان أحمد ضيف عطوفاً عليه، متبنياً له، وهو الذي أشاد مبكراً بكتابه "مدامع العشاق" في مقدمة الديوان المطبوع.

## رأي الدكتور جابر عصفور

كتب الدكتور جابر عصفور عن أحمد ضيف مقالتين في ٢٠٠٠ نشرهما في جريدة الحياة اللندنية. الأولى بعنوان "رائد منسي" أشاد فيها بمكانته وأنه من الجيل الثاني الذي استهل البعثات إلى فرنسا. ووصفه بأنه أول مبعوثي الجامعة الذين ينهضون بعبء تدريس الأدب العربي بالمناهج الحديثة التي تعلمها في السوربون، وأول من انطلق صوته من داخل كلية الآداب في الجامعة المصرية بالدعوة إلى اكتشاف ملامح الهوية الوطنية عبر تجلياتها التاريخية في الآداب والفنون. وقد صحبت هذه الدعوة دعوة ملازمة لها، ومرتبة عليها بمعنى من المعاني، أعني التشجيع على الإبداع الجديد الذي ينطق ملامح الشخصية الوطنية، ويضيف إلى الملامح القديمة ما يؤكد التطور والتغير إلى جانب الاتصال والاستمرار.

وفي المقالة الثانية "مواصلة الدعوة" أشار الدكتور عصفور إلى دور الدكتور أحمد ضيف المهم في التعريف بالأدب القومي، وأن "الإلحاح على إبراز الهوية الوطنية في الأدب يظل عنصراً تكوينياً حاسماً في كتابة أحمد ضيف، وهدفاً حاول الوصول إليه بأكثر من سبيل".

## عضوية مجلس إدارة جمعية أبوللو

يقال إن الظلم المتعمد أثر في شخصية الدكتور أحمد ضيف الذي أثر الانطواء واعتزال الناس وشروورهم، وإن ظل محتفظاً بمكانته في نفوس العارفين بفضلهم، وقد اختير على سبيل المثال عضواً في مجلس إدارة جمعية أبوللو (١٩٣٢).

## وفاته

توفي الدكتور أحمد ضيف في أول يوم من أيام سنة ١٩٤٥



## الفصل الرابع الأستاذ علي النجدي ناصف

### الأستاذ الذي جدد حينا للمتنبي

الأستاذ علي النجدي ناصف (١٨٩٨ - ١٩٨٢) هو آخر أساتذة النحو الكبار الذين أضافوا لأستاذيتهم في النحو تمكنا فائقا من أستاذية النقد الأدبي التقليدي والدراسات الأدبية على نحو رفيع، ومثل بهذا نموذجا فذا للجمع بين أستاذيتي اللغة والأدب في المستوى الأعلى من الأستاذية المزدوجة المؤسسة التي نتمنى أن تكون طابعا في المستقبل ، وقد كان بالإضافة إلى هذا نموذجا فذا للإنسان الكامل علما وخالقا ، و لا أذكر أنني في حياتي كلها قد تلمذت لأستاذ على هذا النمط من الهدوء والرقى في مصر ولا في خارج مصر، لا في الطب ولا في الأدب ولا في اللغة ولا في العلم ولا في الرياضيات ولا في الاقتصاد ولا في المعلومات ولا في غير ذلك.. كان وكأنه هو النسيم، بل ربما كان الأصدق أن نقول إنه كان بمثابة من نتصوره أن يكون الملاك الحي الوديع النشط. عرفت التلمذة على محاضراته منذ مطلع السبعينيات ثم كان هذا الأستاذ الجليل واحدا من الذين شرفوني بمنحي جائزة مجمع اللغة العربية في الأدب ١٩٧٨، وكان لتقديره لي ولبحثي مذاق خاص لا أزال أحس بطعمه الباعث على النشوة، رغم مضي أكثر من أربعين عاما.

### اللقب المطلق للأستاذية

كان الأستاذ علي النجدي ناصف واحداً من الذين يطلق عليهم "الأستاذ" فحسب، ولا ينصرف اللقب إلا إليه إذا كان في مجموعة من النظراء. فقد كان من النوادر الذين دان لهم ميدانا الدراسات اللغوية والأدبية بالقدر ذاته من الإذعان والخضوع وأبدع فيهما محققاً ذروات رفيعة من الجودة والإتقان. كان عالماً بالنحو وباحثاً فيه على أرفع مستوى ممكن، وكان كذلك عالماً بالأدب ونقده وباحثاً فيه على أرفع مستوى ممكن. وكانت صورته في الحياة العامة والأكاديمية انعكاسا لهذا العلم، فكان رقيقاً رقيقاً ضعيف الصوت، كما كان رقيق الحاشية، جامعاً كل أطراف التهذيب والخلق الرفيع كما ينبغي أن يكون، كما كان أيضاً دقيقاً ملتزماً متسقياً مرتباً، كما ينبغي للتفكير النحوي أن يكون.

### أستاذيته في النحو واللغة

كان علم الأستاذ علي النجدي ناصف بالنحو علم الأستاذ الحجة المثبت الذي أدرك الصواب الحقيقي لا الصواب الذي يمكن إدراكه بالتأويل أو التفسير أو التضمنين أو التحليل أو التشبيه، وكان علمه بالأدب نموذجاً لسعة الاطلاع، ودقة الشعور، ورهافة الحس النقدي. وبالإضافة إلى هذا كله كان في الصف الأول من محققي التراث، الذين قدموا لوطنهم وللغتهم خدمات جليلة. كان رقيقاً وراقياً في الوقت ذاته، وكان دقيقاً وحرصاً في الوقت ذاته أيضاً، وكانت شخصيته نادرة المثل ونادرة المثال كذلك.

### استاذيته في تاريخ العلم وفلسفته

يكفينا أيضاً في التحيز لقيمة الأستاذ علي النجدي ناصف أن نشير إلى أن من دراساته النحوية دراسات مرجعية فيما يعرف على أنه تاريخ العلم وفلسفته، فقد كتب عن سيبويه إمام النحاة، وعن أبي الأسود الدؤلي، ولو أنه عني بهذا الجانب من الترجمة لعمداء النحو لاحتكر الكتابة عن أعلام النحو إلى أمد طويل. ومن حسن الحظ أنه كتب كتاباً في تاريخ النحو، وهكذا كان من رواد هذا المجال،

### كتابه عن القضايا العلمية في النحو

قد كتب الأستاذ علي النجدي ناصف أيضاً كتاباً عن بعض قضايا اللغة والنحو، وقدم فيه دراسة لجوانب ومشكلات لغوية لا تزال تستحق مزيداً من الدرس والبحث، ومنها على سبيل المثال: قوالب التعبير، والإعراب وعلاقته بالمعني، والتأويل والتقدير في اللغة، والفصحي والعامية.

### بين القرآن والنحو

أتيحت للأستاذ علي النجدي ناصف فرصة نادرة في إبراز علمه اللغوي بطريقة فائقة في مناقشته لعلاقة القرآن الكريم والنحو، وقد كنت أعتقد ككثيرين في أن النحو كله موجود في القرآن الكريم، وأنه ليس من واجبنا أن نبحت عن النحو في خارج القرآن الكريم، فإذا بي أفاجأ بحججه القوية في خطأ هذه الفكرة من ناحية وفي تصويبها من ناحية أخرى. وقد قاد هذا الأستاذ الجليل مناقشة علمية متميزة حول هذه القضية مع الدكتور شوقي ضيف، وإذا بالدكتور شوقي ضيف نفسه يشير إلى تفوق الأستاذ علي النجدي في إدراك وجه الصواب في هذه القضية، وقد ضمن هذا

بحثه الذي نُلي في مؤتمر من مؤتمرات مجمع اللغة العربية بعنوان "بين القرآن والنحو".

وفي ذلك البحث ناقش الأستاذ علي النجدي دعوة قيلت تعليقا على محاضرة للدكتور شوقي ضيف عن تيسير النحو، مؤداها أن يعتمد في التيسير المنشود على نحوٍ يستمد من القرآن الكريم، ومع أن أي دعوة إلى عمل يقوم على أساس من الذكر الحكيم تقابل بالترحيب تيمنا بالقرآن وارتفاعا إلى أفاقه الأعلى، فإن هذا الأستاذ الجليل ظل يدير هذه الدعوة في نفسه (على حد تعبير الدكتور شوقي)، حتى كتب بحثه الذي ألقاه في مؤتمر المجمع التالي، ملاحظا أن ضروبا من أساليب العربية لا يوجد لها نظائر في القرآن، والنحو إنما وضع لجميع أساليب العربية.

### قراءة ابن عامر "كن فيكون" بالفتح والضم

وأضاف الأستاذ علي النجدي: إن لكتاب الله قراءات كثيرة يتنوع الخلاف بينها في حركات الإعراب وفي بنية الكلمة، بل إن قراءة واحدة من القراءات سبعية وغير سبعية قد يخالف صاحبها فيها نفسه، فيقرأ الحركة الإعرابية للكلمة في موضع أو مواضع بقراءة، ثم يغير حركتها في موضع أو مواضع أخرى، ويضرب لذلك مثلا الآية الكريمة: (كن فيكون) فقد تكررت تلك الآية في القرآن إحدى عشرة مرة وقرأها ابن عامر أحد القراء السبعة (فيكون) بالنصب ست مرات، وقرأها (فيكون) بالرفع خمس مرات.

وخلص الأستاذ النجدي من ذلك كله إلى قوله: "إننا حين تمنينا على الله أن يجعل لنا من القرآن نحوا لم نطلب الأمر من مأتاه الأصيل، لأن القرآن ليس كتاب لغة ولكنه دستور حياة ونبراس هداية".

### الدكتور شوقي ضيف يثني على علمه

لخص الدكتور شوقي ضيف بأمانته ودقته هذا الفهم للأصيل للأستاذ علي النجدي ناصف ثم علق عليه بقوله:

«والأستاذ علي النجدي ناصف كان يعلم حق العلم حين قال ذلك أن النحاة منذ سيبويه يستشهدون بآيات القرآن الكريم في النحو، وأن الآية منه وبعض الآية حين يستشهدون بها لقواعدهم بين ما يستشهدون به من الشعر والنثر تكون كالشهاب الثاقب والضوء الساطع. غير أن التفكير في شواهد القواعد النحوية ومدى الاستعانة

فيها آيات القرآن الكريم المضيئة شيء، وتيسير النحو المأمول بتدليل صعابه وتنسيق أبوابه وحذف زوائده وتبسيط قواعده للناشئة شيء آخر".  
«وعن ذلك صدر الأستاذ علي النجدي ناصف في بحثه: «بين القرآن والنحو، وأعترف بأنني لم أكن لأستطيع تبيان هذا الموضوع على نحو ما بينه في البحث بيانا علميا وافيا».

### عضويته في مجمع اللغة العربية

انتخب الأستاذ علي النجدي ناصف عضواً في مجمع اللغة العربية (١٩٧٤) في الكرسي الذي خلا بوفاة الدكتور محمد مصطفى القلبي، وهو الكرسي التاسع من كراسي المجمع الذي شغله قبله ثلاثة من القانونيين الأفاضل هم: الأستاذ محمد توفيق رفعت رئيس المجمع، ثم الدكتور عبد الحميد بدوي، ثم الدكتور محمد مصطفى القلبي.

وكان الأستاذ علي النجدي ناصف طيلة السنوات الثماني التي قضاها عضواً في مجمع اللغة العربية بمثابة الدينامو الدؤوب، كما كان بمثابة الدرعمي الخطيب. فقد تولى تأبين أربعة من المجمعين كان منهم اثنان من أساتذة النحو الذين زاملوه في نفس القسم وهما الشيخ عطية الصوالحي، والأستاذ عباس حسن. كما تولى تأبين زميله الدكتور إبراهيم أنيس أستاذ علم اللغة، وتولى تأبين الأستاذ محمد رفعت أحمد المؤرخ.

ولم يقدر له أن يستقبل أحداً من المجمعين الدرامعة، ولكنه استقبل أزهرياً مبرزاً في علوم اللغة والنحو وهو الأستاذ محمد رفعت فتح الله.

### تصريف الضمير و أسرار الزيادة في القرآن الكريم

تركزت بحوث الأستاذ علي النجدي ناصف في مجمع اللغة العربية في ميدان مهم، كان الدكتور الشيخ عبد الرحمن تاج قد بدأ إعادة النظر فيه، وهو فكرة وصف بعض الحروف بالزيادة، وهو وصف "نحوي" فإذا بالأستاذ علي النجدي يتعمق في هذه الدراسات وينشر بحثاً عن "الزيادة في القرآن الكريم" وفي دورة تالية يستكمل البحث بأخر عنوانه "من أسرار الزيادة في القرآن الكريم"، وبعد خمسة أعوام أخرى يقدم بحثاً ثالثاً بعنوان "من وحي الزيادة في القرآن الكريم".

وبالإضافة إلى هذا، فقد تناول الأستاذ علي النجدي ميدانين من ميادين الدراسات اللغوية ببحثين مهمين فنشر بحثاً عن "التثنية في القرآن الكريم"، وبحثاً آخر عن "تصريف الضمير في القرآن الكريم".

### دراسته لثلاثة من الشعراء من عصور مختلفة

وفي دراساته الأدبية لم يقف الأستاذ علي النجدي ناصف عند عصر معين، وقد شاء لنفسه أن يدرس ثلاثة من الشعراء من عصور مختلفة، فقدم دراسات رائعة وجليّ إسهاماته الشعرية في ميادين مهمة:

- حماسة أبي تمام وفيها مقدمة جميلة عن الاختيار في الشعر.
- الدين والأخلاق في شعر شوقي.
- السياسة والغزل في شعر أبي قيس الرقيات.

### القصة في الشعر العربي

كذلك فإن الأستاذ علي النجدي لم يقف عند تحليل مضامين فن الشعر على نحو ما فعل في دراساته الثلاث هذه، وإنما أضاف إلى هذا أنه درس القصة في الشعر العربي حتى أوائل القرن الثاني الهجري، كأنما كان يضرب المثل على التمكن من كافة المجالات المرتبطة بالدراسات اللغوية والأدبية.

### من الرعيل الثالث لمؤلفي الكتب المدرسية

على صعيد موازٍ اشترك الأستاذ علي النجدي ناصف مع الدكتور محمد مهدي علام، والأساتذة عباس حسن، وعلي السباعي، وأحمد الحوفي في تأليف كتاب المطالعة الوافية للمدارس الثانوية. وبهذا كان الأستاذ النجدي من الرعيل الثالث لمؤلفي الكتب المدرسية، وهو الرعيل الذي لم يقدر له أن يستمر في هذه الوظيفة كثيراً في عهد يمكن وصفه بلغة السياسة بأنه عهد توحش البيروقراطية وتراجع التكنولوجيا، لكنه (أي العهد)، كان باللغة العلمية الأيسر منها، هو عهد الموظفين في مقاعد العلماء.

### تحقيقاته و مراجعاته للتحقيق

- الجزء الثالث من لسان العرب.
- الجزء العشرين من الأغاني.

## تحقيقه لكتب القراءات القرآنية والتفسير

اشترك الأستاذ علي النجدي في تحقيق كتابين مهمين من كتب القراءات:

- «كتاب الحجة في علل القراءات، لأبي علي الفارسي.
- «المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، لابن جنبي.
- راجع تحقيق الجزء الثالث من «معاني القرآن للفراء، وهو أحد التفاسير العلمية المتميزة للقرآن الكريم.

## تحقيقه لكتاب الاستذكار في فقه السنة

امتد الأستاذ علي النجدي ناصف بتحقيقاته إلى مجال الفقه، بل الفقه المقارن.. فحقق منفردا مجلدين من كتاب "الاستذكار في فقه السنة المقارن للحافظ ابن عبد البر القرطبي الأندلسي"، بتكليف من المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، وهو كتاب ضخمة متعددة الأجزاء، عماده كتاب الموطأ لمالك وما فيه من الأحاديث، عارضا مختلف المذاهب الفقهية ومقارنا بينها مقارنات وافية.

وقد تولى الأستاذ علي النجدي ناصف تحقيق هذين المجلدين بهمة عالية تتم عن علم غزير بمجال متخصص لم يتول تدريسه، ولكنه ظل محفوظاً في قلبه القادر على استيعاب العلم وحفظه.

## إكبار زملائه له

ظل الأستاذ علي النجدي يحظى بتقدير خاص من أساتذته وزملائه واللاحقين به، ويتبدى هذا من كثير المظاهر، ومنها على سبيل المثال أن الذي تولى استقباله في مجمع اللغة العربية لم يكن زميله في نفس القسم (الأستاذ عباس حسن)، الذي سبقه إلى عضوية المجمع، وإنما كان واحداً من جيل أساتذته، بل كان من المفتشين الذين عمل تحت رئاستهم وهو الأستاذ عبد الحميد حسن الأمين العام للمجمع.

## قال الأستاذ عبد الحميد حسن في استقباله عضواً في مجمع اللغة العربية:

«... وأول لقائي بالزميل الكريم كان في إحدى مدارس المعلمين الأولية، وفي مدرسة دسوق للمعلمين حظيت بزيارة الأستاذ علي النجدي وكان يلقي درسا يعد من أدق الدروس وأدلها على مقدرة المعلم ومهارته في مادته وطريقته، وهو درس التعبير أو الإنشاء الشفهي، وكان موضوع الدرس من مشاهدات البيئة المحلية، وهو "دسوق يوم السوق".»

"وكان في أدائه وإلقائه وحواره نموذجاً للمعلم القدير والمربي الماهر الذي يتخذ من درسه، وما يعالج من حقائق وسيلة لبناء العقول وإنشاء الأنفس، وكان بذلك محققاً لقول شاعرنا شوقي:

أرأيت أعظم أو أجلّ من الذي يبني وينشئ أنفساً وعقولاً  
رأيت كل هذا من الزميل الكريم فامتلاً قلبي وسمعي وبصري إجلالاً له وتقديراً.  
كان في جميع أدوار حياته مثلاً للجد والنشاط عاكفاً على الدرس والبحث".

#### **د. إبراهيم بيومي مدكور في تأبينه**

«رحم الله الأستاذ زكي المهندس، فهو أول من وجه نظرنا نحو عالم جليل وأستاذ كبير هو فقيه اليوم المرحوم الأستاذ علي النجدي ناصف، وجه نظرنا إليه منذ خمس عشرة سنة أو يزيد، ولم يكن حظنا سعيداً لننعم بصحبته وزمالاته منذ اللحظة الأولى التي ذكر اسمه فيها بيننا، ولكننا نعمنا به منذ ديسمبر عام ١٩٧٣، تسع سنوات أو تزيد قليلاً قضاها معنا المرحوم علي النجدي، قضاها في عطاء مستمر، عطاء في اللجان المختلفة، عطاء في مجلسنا، عطاء في مؤتمراتنا، عطاء كله ذهن صاف، وأسلوب رقيق، لا يتكلم لمجرد الكلام، ولكنه صامت إلا إن وجد ما يقوله من كلام".

#### **قال الدكتور شوقي ضيف في تأبينه**

«وأبي زميل له منا لا يخالجه الحزن العميق حين يذكر ما فقدناه فيه من طمأنينة النفس وصفاء الروح وطلاقة الوجه وعفة اللسان؟ وبالمثل ما فقدناه فيه من قهر المشاكل اللغوية العويصة، وما كان يقدم لها من حلول سديدة في صوت هادئ متزن لين خفيض، وكأنما يتكلم همساً، وهو همس كان يحمل دائماً التصويبات اللغوية الصائبة في غير جلبة ولا ضوضاء شأن العلماء الوقورين الأجلاء".

#### **نشأته العلمية**

تخرج الأستاذ علي النجدي في دار العلوم عام ١٩٢١، أي وهو في الثانية والعشرين من عمره، وقد تخرج معه في هذه الدفعة أستاذ الفلسفة الشهير أبو العلا عفيفي، وقد سبقه في التخرج علمان من أعلام النحو واللغة والمجمع اللغوي هما الأستاذان علي السباعي (ولد قبله بخمس سنوات وتخرج قبله بأربع سنوات)، وعطية الصوالحي (ولد قبله بست سنوات وتخرج قبله بثلاث سنوات)، ولحق به من أعلام

الدراعمة أستاذة النحو الأستاذ عباس حسن (الذي تخرج بعده بأربع سنوات (١٩٢٥) وولد بعده بعامين) وإن كان قد سبقه إلى الوفاة.

### واحد من أربعة من النحاة قبل عبد السلام هارون

وإلى هؤلاء الأربعة معًا انتهت رئاسة النحو الدرعي في ذلك العصر الذي انضمت فيه دار العلوم للجامعة المصرية، وبهؤلاء برزت مدرسة النحو في دراسة العلوم متفوقة بالطبع على كلية الآداب، وذلك على الرغم من أن الأستاذ عبد السلام هارون نفسه رئيس قسم النحو الأشهر في دار العلوم كان قد اختير في ذلك الوقت أستاذًا للغة العربية في كلية الآداب بجامعة الإسكندرية.

### العودة إلى دار العلوم

عاد الأستاذ علي النجدي إلى كليته بعد اثنين وعشرين عامًا من تخرجه فيها (١٩٤٣) مدرسًا للنحو والصرف، في العام الذي نقل فيه الأستاذ الصواحي أيضًا إلى الدار. وقد رشحته لهذه الوظيفة بحوثه اللغوية التي كان يعدها مدفوعًا بحب العلم وحده وينشرها في صحيفة دار العلوم.

وتدرج الأستاذ علي النجدي في وظائف هيئة التدريس بدار العلوم مدرسًا فأستاذ مساعدًا فأستاذًا، وظل أستاذًا غير متفرغ منذ أحيل إلى التقاعد وحتى وفاته، وهكذا ظل يدرس لأجيال هذه الكلية على مدى أربعين عامًا.

### نموذج لقدراته النقدية والأدبية

ليس من سبيل إلى التعريف الشامل بقدرات الأستاذ علي النجدي ناصف النقدية والأدبية، فذلك أمر يتطلب دراسة أكاديمية على مستوى عالٍ تستعرض ذوقه ومنهجه وتؤصل لفهمه وعمله - وهو ما كنت أخطط لأن أتمه، لولا ما أصابني من هذا التشرد، الذي أدعو الله أن يكون في ميزان حسناتي، كنت قد انتهيت من معظم أجزاء هذه الدراسة الموسعة، وأدعو الله أن تعود إلى يدي!

لكني مع هذا أستطيع أن أصور هذه القدرات من خلال استحضاري لجهد عظيم في الكتابة الأدبية بلغ الغاية في التهذيب والتواضع كتبه الأستاذ علي النجدي في الأربعينيات ونشره في مجلة الكاتب المصري التي كان يرأس تحريرها ها الدكتور طه حسين.



## قصة مقالاته عن المتنبي

بدأ الأستاذ علي النجدي كتابته عن المتنبي تعقيباً على مقال للدكتور محمد كامل حسين نشر في المجلة نفسها في عدد نوفمبر ١٩٤٥ عن التعقيد في شعر المتنبي، وهو مقال جيد الفكرة و الصياغة تناولناه في كتابنا عن محمد كامل حسين ١٩٧٨ ، و هو الكتاب الذي نال تقدير الأستاذ علي النجدي ناصف نفسه ، ويمكن لنا أن نقول ونحن في منزلة المحب الأول لمحمد كامل حسين إن مقال علي النجدي ناصف لا يقل قيمة ولا فكرياً عن مقال محمد كامل حسين، بل ربما فاقه في كثير من الفهم والتعليل، وإن اشتركا في ذكاء التحليل وفي استيعاب الملكة الشعرية.

ونحن لا ننكر أنه كان للدكتور محمد كامل حسين فضل إثارة القضية على نحو ما أثارها بما عرف عنه من نظرة ذكية ومحدثة إلى التراث، وإجادة التعبير عما يبدو للبعض على أنه فكرة عابرة فحسب، بل يمكنني أن أتجاوز لأقول إن لمحمد كامل حسين الفضل في إثارة قريحة وفكر الأستاذ علي النجدي نفسه ليكتب مثل هذا المقال الرائع الذي نستعرضه هنا، بل ربما، وهذا علمه عند الله، أنه بهذا المقال استثار الأستاذ علي النجدي ليكتب ما كتب بعد هذا من دراسات رائعة عن المتنبي.

## تعمقه في الدراسة المتنبوية

والحق أن ما ينبئ عنه ما كتبه الأستاذ علي النجدي ناصف وفهمه للمتنبي وحياته وشعره في هذا الوقت المبكر من حياته الأكاديمية يشي بوضوح بمستوى إلمامه، ويذكرنا بلا مبالغة بمستوى كتابات الأستاذ محمود شاعر عميد الدراسات العربية التي تناولت المتنبي وحياته وشعره، أو كما يحلو لي أن أقول باختصار: عميد الدراسات المتنبوية.

يقول الأستاذ علي النجدي في مقاله:

"قرأت في مجلة «الكاتب المصري» (عدد نوفمبر ١٩٤٥) مقالا للأستاذ الدكتور محمد كامل حسين، ألم فيه بالتعقيد في شعر المتنبي، وحاول أن يردّه إلى أسبابه الأصيلّة في نفس الشاعر، ولكنه فيما يخيل إليّ لم يبلغ ما أراد، بل لعله أن يكون قد مال عنه؛ لأنه سعى إليه من غير وجهه...."

هكذا يقرر الأستاذ علي النجدي بكل أدب وتواضع، فهو مع احترامه لمحمد كامل حسين قد يصف بحثه بأنه «إلمامة فحسب، وبمثل هذا اللفظ المهذب عبر علي النجدي

عما لا يمكن لغيره أن يعبر عنه إلا في فقرات أو صفحات، وهو يسارع في بداية مقاله إلى تقرير ما يراه من أن محمد كامل حسين قد حاول ولكنه لم ينجح في محاولته، وهو يعلل هذا الإخفاق بأن محمد كامل حسين سعى إلى هدفه من طريق غير الطريق الذي كان ينبغي عليه أن يسلكه.. هكذا يقرر علي النجدي على سبيل الإجمال.

### التعقيد في شعر المتنبي كان عارضا طارئاً

يبدأ الأستاذ علي النجدي بتفصيل مذهبه في هذه القضية، لافتاً النظر إلى حقيقة أن التعقيد في شعر المتنبي لم يكن صفة دائمة مستمرة وإنما كان عارضا طارئاً.. وهو يرى أن مثل هذا التعقيد شائع تماماً في الشعراء والكتاب، وإن كان التعقيد في الشعر أكثر شيوعاً لأسباب يذكرها الأستاذ علي النجدي على سبيل الإجمال: «فالتعقيد لم يكن عند المتنبي طبيعة راسخة، ولا صفة ملازمة؛ فنتصل بنفسه، وتستمد منها الوجود والثبات، ولكنه كان عرضاً طارئاً تقتضيه أسباب موقوتة؛ فيبقى ما بقيت، ويمضي على أثرها حين تزول.

«وليس المتنبي في هذا بدعاً ولا وحيداً؛ فما من شاعر ولا كاتب إلا له منه حظ قليل أو كثير. غير أن منهم من يحذر النقاد، ويحفل بالرأي الأدبي العام؛ فينحي على معتداته بالتهذيب أو الحذف، فلا يصدر عنه إلا الواضح السمع، أو الآخذ من الوضوح والسماحة بنصيب. ومنهم من لا يقيم وزناً للنقاد ولا للرأي الأدبي العام؛ فيصدر عنه كل ما يقع له، لا يبالي تعقيداً ولا سخفاً ولا إسفاً.

«وإذا كان حظ الشاعر من التعقيد أكبر فلأنه يتقيد في الشعر بكثير مما لا يتقيد به الكاتب في النثر.

«وأسباب التعقيد كثيرة، يرجع بعضها إلى الشاعر نفسه: كنضوب طبعه، وفتور حسه لملل، أو إعياء، أو اختلال مزاج، أو نحو ذلك. ويرجع بعضها الآخر إلى الموضوع الذي يعالجه: كجدته، ودقة مسالكه، وصعوبة تناوله، واستبهام حقائقه، وما يشبه ذلك.

«وليس يعنينا على كل حال أن نتتبع هنا أسباب التعقيد بالإحصاء والبيان؛ فلسنا منها الآن بسبيل إلا على قدر ما يتطلب الموضوع؛ فلنتصر على هذا القدر: لا نتوسع ولا نزيد.

## المتنبي لم يكن بخيلاً

وينتقل الأستاذ علي النجدي إلي مناقشة آراء محمد كامل حسين بطريقة علمية تحليلية، ونراه لا يبخل على نصوص محمد كامل حسين بالتفسير الذي يمكنه هو من مناقشتها، وهو يتعرض على سبيل المثال للمقصود بالحرص في تشخيص الدكتور محمد كامل حسين لأسباب التعقيد في شعر المتنبي، وهو لا يحمل عبارات محمد كامل حسين بأكثر مما تحتمل، ولكنه يعبر عن المعاني التي تناولها بعبارات ذكية قادرة على التعبير عن المعنى الدقيق الذي يقصده:

«... والأستاذ الدكتور يرى أن التعقيد في شعر المتنبي يرجع بعضه إلى حرص كان عنده، ويرجع بعضه الآخر إلى أمل كان يرجوه، لكنه أخفق فيه.

«فأما الحرص فلست أدري على التحقيق ما مراده به؟ أتراه يريد أن يقول مع القائلين: إن المتنبي كان بخيلاً، يحب المال، ويحرص على جمعه وادخاره، ثم يزيد حضرته أن هذا البخل كان متمكناً منه، وشديد الإلحاح عليه، حتى لقد كان له عمل في فنه، وسلطان على مواهبه؟ أم تراه يريد أن الشاعر كان لشعره محباً، وبه مفتوناً، وأن ذلك كان يغريه بالإبقاء عليه، والضمن بكل ما ينتج منه، دون تفريق بين المعقد وغير المعقد؟ وأيا ما يكن المراد الذي يقصد إليه الأستاذ الدكتور، فلا شك أن البخل بالمال أو الحرص على الشعر لا يعلل التعقيد نفسه، ولا يكشف عن سر التورط فيه، ولكنه يعلل الاعتزاز بالشعر المعقد، ويكشف عن سر الإبقاء عليه.

هكذا يصل الأستاذ علي النجدي إلى تشخيص أدق من تشخيص كامل حسين بناء على المعطيات التي بنى عليها كامل حسين أحكامه وتشخيصه، وهو يرى أن البخل بالمال أو بالشعر لا يعلل التعقيد، وإن علل الاعتزاز بالشعر المعقد. ويستأنف الأستاذ علي النجدي طرح دفعه في هذا الصدد فيقول:

«وشيء آخر: أن البخل بالمال، أو الحرص على الشعر لا يستطيع وحده أن يهون التعقيد على الشاعر، ويرخص له في اصطناعه وإذاعته في الناس؛ فقد يحب المرء آثاره الأدبية، ويود جاهداً لو أتيح له الإبقاء عليها كلها، ولكنه يمنعه من ذلك خوف النقاد، أو الرغبة في استرضاء القراء.

هكذا يعود الأستاذ علي النجدي إلى فكرة سبق له أن طرحها في بداية حديثه عن أثر النقد والرأي العام في إذاعة الشاعر (أو الكاتب) لما كتب.

### تمتع المتنبي بالكرم و السلاسة في شعره

على أن المفاجأة المهمة هي أن الأستاذ علي النجدي بعد هذا المدخل الذي يبدو فيه مسلماً بالمقدمات التي ساقها الدكتور محمد كامل حسين، فإنه يبدأ في نقض هذه المقدمات. وهو يفعل هذا بتمكن شديد لدرجة أنه لا يكتفي بأن يقدم دليلاً واحداً على رأيه، ولكنه يقدم أدلة متعددة ومتعاقبة، ويكتفي بذكر هذه الأدلة على سبيل الإجمال دون أن يذكر تفصيلاتها. كما أنه يفعل هذا بسلاسة وكأنه يستحضر قوائم من محفوظاته، وليس أمثلة يصعب على غير الدارسين المتميزين أن يصلوا إليها ويحصروها ويستعرضوها على هذا النحو المتدفق.

يبدأ الأستاذ علي النجدي ناصف في تنفيذ الافتراء بوصف المتنبي بالبخل وهو يسوق أدلته على هذا التصحيح (الذي يراه ضروريا) مدعما بالمراجع فيقول:

«ولم يكن المتنبي بعد هذا كما يصوره بعض الرواة شحيحاً، جماعاً للمال، يشتد في جمعه والحرص عليه، ولا يرى بأساً أن يفرط في سبيله ببعض ما لا يجمل بالرجل الأبي الكريم أن يفرط فيه، فليس في المعروف من سلوكه ما يؤيد ذلك أو يشير إليه، وإنما تلك فيما أعتقد فرية افتراها عليه بعض خصومه والمنافسين له، كما افتروا عليه غيرها من العيوب.

### الأمثلة العديدة على عزة نفس المتنبي

"فالرجل الذي ينزع منازع العظمة، ويتشبه في خروجه بأصحاب السلطان، فلا يركب إلا في موكب من المماليك، يحفون من حوله وهم مدججون بالسلاح.

"والرجل الذي يفد على بغداد، فيذهب بنفسه عن مدح الوزير المهلبي؛ لاشتهاره بالسخف، وتولعه بالمجانة والهزل، ثم يتودد إليه سري من تجارها الأدباء، فيخدمه، ويكرم مثواه عسى أن يمدحه، فلا يفعل.. ويقول له في الاعتذار من ذلك: لو كنت مادحاً تاجرًا لمدحتك.

"ثم يسأله أبو إسحاق الصابي أن يمدحه بقصيدتين، ويجعل له عليهما خمسة آلاف درهم، ويوسط بينهما في ذلك رجلا من وجوه التجار؛ فيقول له: قل لأبي إسحاق: ما رأيت بالعراق من يستحق المدح غيرك، ولا أوجب عليّ في هذه البلاد أحد من الحق ما أوجبت، وإن أنا مدحتك تنكر لك الوزير المهلبي، وتغير عليك؛ لأنني لم أمدحه.

فإن كنت لا تبالي هذه الحال فأنا أجيبك إلى ما التمتست.. وما أريد منك منالاً، ولا عن شعري عوضاً.

"والرجل الذي يدعوه الصاحب ابن عباد إلى زيارته، ويعدده أن يشاطره جميع ماله؛ فلا يستجيب له، ولا يرد عليه كتابه..

" والرجل الذي يستزيره عضد الدولة وهو عند ابن العميد؛ فيأبى، ويرغبه ابن العميد في المسير إليه، بما يصف له من سخاء الملك وجزالة عطاياه للكفاء وأصحاب المواهب؛ فيقول له: إن الذي أجود به على الملوك من الشعر خير مما يجودون به عليّ من المال؛ لأن شعري خالد، ومالهم زائل، ثم يقول: إني امرؤ شجر ملول، وأريد أن يكون إليّ الأمر في الإقامة والظعن، لكن الملوك يستبدون بي، ويأبون على الخروج حين أريد؛ فأضطر إلى مغاضبتهم، والرحيل عنهم على أقبح الوجوه، ثم لا يزال مصرّاً متشبّباً، حين يكتب ابن العميد في ذلك إلى الملك، ويرد جواب الملك أن الشاعر حر: يقيم ما شاء، ويرحل متى شاء .

### يؤكد رأيه في نفي البخل عن المتنبي

بعد أن يعدد الأستاذ علي النجدي ناصف هذه الأمثلة القاطعة الدالة على صحة رأيه هو، والدالة بالتالي على خطأ المقدمات التي بنى عليها الدكتور محمد كامل حسين رؤيته، يلخص الموقف في قوله:

«الرجل (أي المتنبي) الذي يعمل بعض هذه الأعمال، ويقول بعض هذه الأقوال لا يمكن أن يكون بخيلاً، ولا يصح أن يوصم بالبخل وفي الدنيا إنصاف، وللكلام معان يؤدبها ويقصد به إليها.

### هل عانى المتنبي من الإحباط؟

ثم يبدأ الأستاذ علي النجدي ناصف في تنفيذ الفكرة الشائعة الثانية، وهي فكرة إخفاق الأمل التي عانى منها المتنبي على حد الأقوال الشائعة التي آثر كامل حسين أن يستند إليها.. وهو يقدم تحليله الذكي المفند في عبارات ناصعة دالة فيقول:

«والإخفاق في الأمل لا أرى له كذلك أثراً في التعقيد عند المتنبي؛ فالمفهوم أن الأمل الذي هام به، وشقي في طلبه، وأطال الحديث عنه منذ كان شاباً يافعاً، إنما كان ولاية السلطان. والمعروف كذلك أنه لم يستيئس منه، وينصرف عنه إلى غير رجعة إلا عند عضد الدولة بن بويه فقد أشار إليه في مدح دلير وابن العميد إشارة مهمة،

لكنها تدل على كل حال أنه حتى ذلك الوقت كان لا يزال يذكره، ويفكر فيه، ويتحدث عنه. قال من قصيدته:

تريدين لقيان المعالي رخيصة      ولا بد دون الشهد من إبر النحل  
حذرت علينا الموت والخيل تلتقي      ولم تعلمي عن أي عاقبة تنجلي  
وقال من قصيدة في مدح ابن العميد:  
صغت السوار لأي كف بشرت      بابن العميد وأي عبد كبرا  
متى أقود إلى الأعادي عسكرا؟      صغت السوار لأي كف بشرت  
ويتساءل الأستاذ علي النجدي في ذكاء:

«فلو كان للإخفاق عمل في تعقيد شعره كما يقول الأستاذ الدكتور (هكذا كان علي النجدي يتحدث عن محمد كامل حسين)، لوجب أن يكون المعقد في شعره عند عضد الدولة أكثر منه في شعره قبل أن يرحل إليه؛ فقد أصبح له منذ ذلك الحين عاملان اثنان بدل عامل واحد: أحدهما ثابت ملازم، وهو الحرص أو البخل. والآخر طارئ جديد، وهو الإخفاق في ولاية السلطان. لكننا إذ نرجع إليه لا نرى فيه شيئاً من التعقيد، مع اختلاف نوعه، وتعدد موضوعاته، وكثرة مقداره، بالإضافة إلى المدة القصيرة التي قيل فيها؛ فقد نظم وهو عند عضد الدولة ست قصائد طوالاً إحداهما أرجوزة، ونظم قصيدة سابعة في سبعة أبيات، وتناول فيها من الأغراض: الغزل، والمدح، والتعزية، والحكمة، والوداع، والوصف المنوع الموضوعات».

### المنتبي مصور موهوب حتى في شعر الحكمة

وبعد هذا كله يعرض الأستاذ علي النجدي رؤيته هو للتعقيد في شعر المنتبي بادئاً بالتأكيد على حقيقة أن نسبة التعقيد في شعر المنتبي قد تفوق نسبة التعقيد في شعر غيره بسبب اعتزازه بنفسه ومواهبه من ناحية وبسبب اهتمامه بشعر الحكمة والعقل من ناحية ثانية، وبسبب اهتمامه بالصناعة في شعره.. ولكنه قبل هذا كله يرى أن السبب في التعقيد في شعر المنتبي (إن وجد) هو نفسه السبب في التعقيد في شعر غيره، وهو يقول:

«الذي يبدو لي أن سببه عنده هو سببه عند غيره: لا تمايز هناك ولا شذوذ. وإذا كان حظ شعر المنتبي منه كبيراً فلأنه كان يغالي بنفسه، ويعتز بمواهبه، حتى ما

يكاد يفكر في جمهوره، أو يحفل بنقاده، كما يتمثل في المحاورات التي كانت تدور بينه وبينهم بعض الأحيان، وكما يقول في بيته المشهور:

أنام ملء جفوني عن شواردها ويسهر الخلق جراها ويختصم  
«ثم إنه كغيره من شعراء العقل والحكمة كان يطلب المعاني العميقة، التي لا تنال بغير المصابرة والكد، ولا تستقيم إلا بعد المداورة وطول الاحتيال. وكان إلى جانب ذلك يحرص على أن تكون عبارته فخمة، وألفاظه جزلة، وموسيقاه مجلجلة، فيها قوة ولها رنين.

من ناحية ثالثة، فقد حرص الأستاذ علي النجدي ناصف على معارضة محمد كامل حسين فيما ذهب إليه من جذب الخيال عند المتنبي وضعف التصوير، وهو يراه حتى في شعر الحكمة مصوراً موهوباً:

«يرى الأستاذ الدكتور بعد ذلك أن المتنبي من أجذب الناس خيالاً، وأقلهم تصويراً. وهو رأى لا نوافق عليه، ولا نرى في شعر الشاعر ما يعززه. ولست أعني هنا شعر الوصف وما يشبهه مما يكون للتخيل فيه مجال فسيح، ولكنني أعني مع ذلك شعر الحكمة أيضاً، حيث يغلب التفكير المجرد، ويأخذ الغرض على نمط يقل فيه تصنيع الخيال. فهو في هذا الغرض مثله في بقية الأغراض، مصور موهوب، خصب الخيال، ثاقب الذهن، واسع الإحاطة، بارع الملاحظة، عميق الفكرة.

### **المتنبي كان يبث الحياة والحركة في كل ما يتناوله**

في هذا السياق من الحب على بصيرة (إن جاز هذا التعبير) تأتي عبارات الأستاذ علي النجدي ناصف في وصف المتنبي لتكون، بجدارة، من أبلغ ما يمكن لعبارات ناقد أو دارس للأدب أن تصل إليه، وانظر على سبيل المثال إلى هذه العبارات:

«دأبه في الإبانة والتعبير أن يبث الحياة والحركة في كل ما يتناول من معنى، وكل ما يؤلف من مشهد، حتى إذا انبعث مواته وجاش ساكنه، وتحرك جامده، أدار وحداته على ما تقتضيه الصناعة، ويوجبه النسق وحسن الافتنان، فإذا الأشباه تتلاقى والأضداد تتنافر، والبعيد يدنو، والغائب يتمثل، والعواطف تتراءى، والشائع يتميز، بما يتوارد هناك من أمثال، ويتلاحق من تشبيهه، ويفصل من حدود، ويقوم من موازين، وإذا نحن تجاه معرض يموج بمشاهد حية من الشعر المتفلسف أو الفلسفة

الشاعرة، تستأثر بالانتباه، وتحرك المشاعر، وتمتع العقل والوجدان معا. وهذا مثلا قوله من قصيدة تعزية لعضد الدولة:

لا بد للإنسان من ضجعة  
نسي بها ما كان من عجبه  
نحن بنو الموتى فما بالناس  
تدخل أدينا بأرواحنا  
فهذه الأرواح من جوه  
لو فكر العاشق في منتهى  
لم ير قرن الشمس في شرقه  
يموت راعي الضأن في جهله  
ربما زاد على عمره  
غاية المفراط في سلمه  
لا قضى حاجته طالب  
لا تقلب المضجع عن جنبه  
وما أذواق الموت من كربه  
نعاف ما لا بد من شربه  
على زمان هي من كسبه  
وهذه الأجسام من تربه  
حسن الذي يسببه لم يسبه  
فشكت الأنفيس في غربه  
موتة جالينوس في طبه  
وزاد في الأمن على سربه  
كغاية المفراط في حربه  
فؤاده يخفق من رعبه

### المتنبي هو شاعر العربية الأكبر

ويواصل الأستاذ علي النجدي ناصف التعبير عن تقديره العميق لشعر المتنبي فيقول في موضع آخر من مقاله:

«عندي أن هذه الحياة التي ينفخها المتنبي في شعره، وتوشك أن تكون خصيصة من خصائص فنه الكبرى هي أهم أسرار خلوده وسيرورة شعره في الناس، فكثيراً ما يتناول المعنى الشائع أو المعنى الذي سبق إليه؛ فيصنعه على طريقته، ويطبعه بطابعه، ثم يرسله فيتردد على كل لسان، ويدخل إلى كل مكان. وما أعرف شاعراً من شعراء العربية القدماء والمحدثين نال من سعة الشهرة، وحفاوة الدرس والنقد مثلما نال المتنبي».

«لقد سيطر على الحياة الأدبية حياته، وظل مسيطراً عليها بعد موته حتى خلفه أبو العلاء. وتوفر الأدباء والنقاد على درسه ونقده؛ فأكثرنا الدرس والنقد، وذهبوا فيه مذاهب شتى، وكتبوا عنه من البحوث والمؤلفات ما لا يجتمع مثله لغير عظيم من عظماء التاريخ. لا يزال البحث الأدبي إلى الآن حفياً به، ماضياً في استخراج ذخائره، واكتناه مذاهبه، وسيظل مذكوراً أبداً ما بقي للعربية وللثقافة والأدب وجود».



## الفصل الخامس : الدكتور محمد مهدي علام

### أستاذ لكل العصور

كان الدكتور محمد مهدي علام ١٩٠٠-١٩٩٢ هو أبرز خريجي دار العلوم في جيله، والجيلين التاليين لجيله وذلك على الرغم من أن عددًا من هؤلاء ( لا يجاوز أصابع اليد) قد سبقوه إلى بعض صور المجد، لكنه بقي بمثابة الدرعمي المتملك للسمات الدرعمية ، ذلك أن المجالات والميادين الأخرى التي ارتادها الآخرون كانت بعيدة نوعًا ما عن ميدان إبداع الكلية التي تخرجوا فيها، وعن مجال تفوق المدرسة التي ينتمون إليها، وعلى سبيل المثال السريع فإن صنوه من أساتذة الأدب وهو الأستاذ محمد خلف الله أحمد قد سبقه للأستاذية و لعضوية مجمع اللغة العربية ولجائزة الدولة التقديرية لكن السبب في هذا كله هو أن الدكتور مهدي علام كان قد شغل في الثلاثينيات والأربعينيات بممارسة ما رزق به من نفوذ واسع في وزارة المعارف وهو نفوذ كان يفوق استاذية الجامعة في قوته .

### أثر سلطان العلم على المناصب فئالهما معا

وعلى الرغم من أن الدكتور محمد مهدي علام لم يتولّ الوزارة ولم يتوج بزعامة شعبية، فقد ظل اسمه متقدمًا على الجميع طيلة ستين عامًا، على الأقل منذ أن عاد من بعثته وظل كذلك إلى أن توفي، وقد جمع ما لم يجتمع لغيره من الكفاءة والقدرة والمرجعية، وذلك فضلًا عن أنه مارس من النفوذ المعرفي والتربوي والثقافي والإعلامي ما لم يتح لغيره. وقل مثل هذا في مناصبه الجامعية حيث جمع رئاسة قسمي اللغة العربية والانجليزية وآدابهما معا فضلًا عن عمادة كلية الآداب. ولو أن الدكتور مهدي علام كان من المغرمين بالقنص لوصل إلى منصب وكيل وزارة المعارف قبل أن يبلغ الأربعين من عمره، لكنه كان بريطانيًا جدًّا وتربويًا جدًّا، فآثر أن يعيش حياته درجة بدرجة.

كان الأستاذ محمد مهدي علام واحدا من الذين شرفوني بمنحي جائزة مجمع اللغة العربية في الأدب ١٩٧٨، وكان لتقديره لي ولبحثي مذاق خاص لا أزال أحس بمجده الباعث على النشوة، رغم مضي أكثر من أربعين عاما، وقد اتصلت علاقتي به بعدها فما رأيت منه إلا أكثر مما يحلم به الانسان من التقدير الصادق.

### كان مثلاً أعلى للأستاذية

كان الأستاذ محمد مهدي علام في أستاذيته نموذجا لا يتكرر: كان مثلاً أعلى في الانضباط، وخفة الروح والظل، وكان قادرا على التقاط الجواهر، وعلى رعاية الزهور أيضاً، وكان يفعل هذا بتلقائية شديدة، ومن دون أن يصنع لنفسه جماعة أو حزبا أو أتباعا، وإنما كان يفعله لوجه الحق والخير والجمال.

### أثره في تعليم الملك فاروق

بالإضافة إلى تاريخه العلمي المتصل، فقد شاءت الأقدار للدكتور محمد مهدي علام أكثر من مرة أن يكون قريبا من السياسة ومن السلطة دون أن يكتوي بنارها، أو أن يفيد من توهج هذه النار من حوله. وقد كان هو الأستاذ الذي وقع عليه الاختيار ليكون معلما خاصا للملك فاروق الأول عندما كان وليا للعهد، ولعل هذا كان أحد الأسباب التي جعلت الملك فاروق يتمتع بالقدرة على الخطابة المنضبطة، والنطق العربي الفصيح الخالي من اللحن.

### كان صانعا للنجوم عن حق

وما من أحد من تلاميذ الدكتور محمد مهدي علام من ذوي الموهبة إلا يدين له بفضل ما في مرحلة ما من مراحل نموه وتألقه، وقد عاش حياته كلها سعيدا بدوره التوجيهي التعليمي وصناعة النجوم.

### ثلاثة نماذج لمن اكتشفهم

ليس أدل على قدرة الأستاذ محمد مهدي علام على صناعة النجوم واكتشافها من أنه هو الذي اكتشف الأستاذ سيد قطب (١٩٠٦-١٩٦٦). كما أنه هو الذي اكتشف الشاعر محمود حسن إسماعيل (١٩١٠-١٩٧٧) ورعا خطواته الأولى. كذلك فقد كان هو الذي اكتشف الدكتور أحمد الحوفي ١٩١٠-١٩٨٣ فكتب له مقدمة لكتابه عن النسب في شعر شوقي، الذي ألفه الحوفي وهو طالب، وقد أشار هو نفسه إلى هذا في كتابه عن المجمعين في موضعين.

وهكذا تحققت له أبوة من طراز فريد رغم أن فارق السن بينه وبين هؤلاء الاعلام كان ضئيلا.

### طراز فريد من الأبوة

عاش الدكتور محمد مهدي علام حياته أستاذا نادرا، هادئ النفس، ذكي الفؤاد، قادرا على الإنجاز الجيد، وقد شغله الإنجاز المتميز والرئاسات والمهام الحاكمة والمحكمة التي كانت تسعى إليه عن أن يعني بآثاره هو نفسه، أو بالتأليف المنسوب إلى قلمه، وقد ظل المسئول الأول والحقيقي عن اللغة العربية قرابة أربعين عاما، فقد كان كبيرا لمفتشي اللغة العربية في التعليم العام والجامعي أيضًا، وكان عميدا لكلية الآداب، ثم رئيسا للجان المعنية باللغة العربية في وزارة التربية والتعليم وفي غيرها من الوزارات.

### سلطاته المبكرة

أصبح الدكتور مهدي علام منذ عودته، ومنذ مرحلة مبكرة من أستاذيته، نموذجا للأستاذ القادر على إفادة جموع كبيرة من الطلاب بعلمه، وقد عرفت كثير من معاهد العلم طريقها إليه وعرف طريقه إلى التعاون معها، ويندر أن نجد أستاذا امتدت مظلة علمه إلى هذا العدد الكبير من معاهد العلم، فقد قام بالتدريس في كلية دار العلوم، وفي كليات الآداب، وفي قسم التخصص (الدكتوراه) بجامعة الأزهر ١٩٢٨ - ١٩٣٦.

كما قام بالتدريس في بريطانيا في جامعة مانشستر (١٩٣٦ - ١٩٤٨)، وفي قسم الدراسات العليا بشعبة اللغة الإنجليزية بكلية الدراسات الإنسانية بجامعة الأزهر (١٩٦٢ - ١٩٨٣)، كما كان أستاذا للنقد الأدبي بالمعهد العالي للتمثيل (١٩٥٢ - ١٩٥٧)، كذلك كان رئيسا منتدبا لقسم اللغة الإنجليزية بمدرسة الألسن عند إعادة افتتاحها وحتى عام ١٩٦٣.

وفضلا عن هذا فقد كان يرأس لجان اختبار المذيعين والمذيعات للإذاعة والتلفزيون وتدريبهم.

### أدواره في التخطيط والتشريع

وقد تولى الدكتور محمد مهدي علام سلسلة من الوظائف المرموقة والمتعاقبة طيلة حياته، فكان واحدا من المسئولين الذين عاونوا وزير المعارف أحمد نجيب

الهلاي باشا في إعداد تقريره الشهير عن تطوير التعليم الثانوي، ثم كان من الذين  
عاونوه على رسم الخطوات التنفيذية في هذا التقرير، وكان محل ثقة أحمد نجيب  
الهلاي باشا في ذلك الوقت حين كان لا يزال بمثابة مستشار قضايا الحكومة المسئول  
عن وزارة المعارف (ووزيرها المتوقع).

وفيما بعد عودته من استاذه في بريطانيا أصبح الدكتور محمد مهدي علام عميدا  
لمفتشي اللغة العربية بوزارة المعارف ١٩٤٨ - ١٩٥٠. ومن الطريف أن خلفه في  
هذا المنصب كان زميله الأقدم منه في التخرج وفي عضوية المجمع اللغوي الأستاذ  
حامد عبد القادر ١٨٩٥-١٩٦٦

### دوره في تأسيس جامعة عين شمس

عند تأسيس جامعة إبراهيم (عين شمس حاليا) اختير الدكتور محمد مهدي علام  
ليسهم في إنشاء كلية الآداب جامعة عين شمس (١٩٥٠)، وشغل فيها كرسي  
الأستاذية للغة العربية وآدابها، وكرسي الأستاذية للغة الإنجليزية وآدابها، وسرعان  
ما اختير عميداً للكلية، وظل عميداً لها سبع سنوات (١٩٥٤ - ١٩٦١)، أي حتى بلغ  
ما بعد سن التقاعد، وكان، كما أشرنا، من أقرب الناس إلى قلب كمال الدين حسين  
وزير التربية والتعليم الأشهر في الحقبة الناصرية وعقله .

### أدواره بعد بلوغه الستين

عين الدكتور محمد مهدي علام بعد تقاعده أستاذا غير متفرغ بكلية الآداب، وكان  
مثل هذا التعيين من الحالات النادرة، وظل يمارس عمله في محاضراته عن اللغة  
العربية لليسانس، وفي محاضراته عن اللغة الإنجليزية والترجمة للدراسات العليا  
حتى عام ١٩٩٠، وقد أشرف على عديد من رسائل الدراسات العليا في الأدب  
العربي، والأدب الإنجليزي للماجستير، والدكتوراه

### في مجال النشر

كان للدكتور محمد مهدي علام نشاط ممتد في النشر العلمي والأكاديمي، حيث  
عمل رئيساً لتحرير مجلة حوليات كلية الآداب لجامعة عين شمس (١٩٥٠ - ١٩٦١)،  
كما كان نائبا لرئيس التحرير لصحيفة دار العلوم (١٩٣٤ - ١٩٣٧)

وبعد بلوغه الستين عين الدكتور محمد مهدي علام رئيساً لمجلس إدارة المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر (١٩٦٢ - ١٩٦٤)، ثم عين مستشاراً لوزارة الإرشاد القومي والثقافة ١٩٦٤-١٩٦٩.

### طراز فريد من الأبوة

هكذا تحققت له أبوة من طراز فريد رغم أن فارق السن بينه وبين هؤلاء الاعلام كان ضئيلاً.

عاش الدكتور محمد مهدي علام حياته أستاذا نادرا، هادئ النفس، ذكي الفؤاد، قادرا على الإنجاز الجيد، وقد شغله الإنجاز المتميز والرئاسات والمهام الحاكمة والمحكمة التي كانت تسعي إليه عن أن يعني بآثاره هو نفسه، أو بالتأليف المنسوب إلى قلمه دون غيره، وقد ظل المسئول الأول والحقيقي عن اللغة العربية قرابة أربعين عاما، فقد كان كبيرا لمفتشي اللغة العربية في التعليم العام والجامعي أيضاً، وكان عميدا لكلية الآداب، ثم رئيسا للجان المعنية باللغة العربية في وزارة التربية والتعليم وفي غيرها من الوزارات.

### أصبح هو نفسه السلطة العليا

بدأت معرفة جيلنا بالدكتور محمد مهدي علام على أنه صاحب اسم كبير جداً، وكان يمثل بالنسبة لنا - معشر هواة الأدب والدراسات الأدبية - الشيخ الذي لا شيخ بعده، والسلطة التي لا سلطة فوقها، والنهائية التي لا يمكن أن يكون معها لا نهاية. كانت قدراته مبعث شحذ للذهن والعزيمة، وكانت نفوسنا تحدثنا بأننا إذا أردنا أن نكون شيئاً مذكوراً لا بد أن نصل إلى مستواه في إجادته للغتين العربية والإنجليزية وتمكنه من علومهما ورئاسته لقسميهما، فلما رزقنا النضوج مع الزمن أدركنا أن هذا لم يكن إلا أقل جوانب عظمة أستاذيته الحقبة التي لم تقف عند هذه الحدود.

### كان أستاذاً فائق الشعبية

كان الدكتور محمد مهدي علام ذكياً دقيقاً محباً مرحاً عطوفاً حكيماً، وإذا كان من العلماء من يوصف بأنه فائن ومبهر فأظنه هو الذي يستحق هذا الوصف في جيله وربما بين الأجيال المتعددة التي عاشها وعاشرتة.

لم يكن من قبيل الصدفة أنه اختير معلماً للملك فاروق، ولا أنه كان بمثابة أنشط من اعتمد عليهم الهاللي باشا منذ توليه لوزارة المعارف ١٩٣٤-١٩٣٦، ولا أنه

كان بمثابة المستشار المفضل لكamal الدين حسين أكثر رجال الثورة علاقة بالتربية والتعليم والثقافة، ولا أن كان بمثابة صاحب القول الفصل في ترفيات الأساتذة واختيار المذيعين والمحربين وما إلى ذلك كله.. إلخ.

### قدراته النفسية

كان الدكتور محمد مهدي علام دقيق العبارة، رائع الوصف وكانت قدرته على تلمس الإيجابيات هائلة، وكان يجمع إلى الخصال المتميزة التي تنميها التربية الإنجليزية المتكاملة حرارة شرقية تعبر عن نفسها بدفء محبب إلى النفس، وكان يجمع إلى الخصال العلمية الفائقة روح التأثر الذي يقدر طبيعة كل شاب ثائر يريد من العلم أن يكون له لا أن يكون هو للعلم، وكان يجمع إلى هدوء النفس طلاقة في التعبير عن السعادة. وكان أسعد الناس بأبنائه وأحفاده وكان فخورًا بتقدمهم في السن والخبرات والقدرات، وكأنه يرى فيهم صورة من صور الأجيال التي رعاها حتى صارت إلى ما صارت إليه.

### كان تعادليًا في رأيه

لم يكن الدكتور محمد مهدي علام من الذين يجيدون التحزب أو يمارسونه، ولم يكن من الذين يفرطون في تقدير المعاونين، وإنما كان تعادليًا في رأيه وفي نظراته وفي أحكامه، ولكنه مع هذا كان يدرك أنه لا بد أن يكون هناك أول، ولا بد أن يكون هناك فائز بالوظيفة ولا بد أن يكون هناك عميد، ولا بد أن يكون هناك رئيس.. وهكذا فإنه طيلة حياته لم يحاول للحظة واحدة أن يوقف عجلة الزمن حتى لو دفعته اعتقاداته إلى الظن بأن كل من يراهم مرشحين أقل من أن يشغلوا الموقع الذي يصبون إليه.

### كان حكمًا ممتازًا متفردًا

وهكذا فإنه فيما عهد إليه من أمور التحكيم كان حكمًا ممتازًا متفردًا مضت أحكامه في سلاسة لتقدم للوطن ما هو بحاجة إليه في المكان والزمان المناسبين، وقد فعل هذا في كثير من الوظائف دون أن يدري أحد، فهو الذي اختار كثيرًا من المستشارين الثقافيين ورؤساء الأقسام والأساتذة والعمداء والمذيعين... وغيرهم.

### مكانه لا يزال شاغراً

لا يزال مكان الدكتور محمد مهدي علام شاغراً لا عن قلة في الكفايات، ولكن عن قلة في الرغبة في العطاء المستمر على نحو ما أعطى، فقد تسارع العصر الذي

نعيشه، حتى جعل كل من توكل إليه المهمات التي كانت توكل إلى الدكتور محمد مهدي علام يسارع في التخلص منها، لا بالاعتذار، ولكن بسلوك المسلك الذي يجعله يظهر رافضا لأن يكون حكما، ولأن يستمر حكما، وذلك بأن يحرص بكل وضوح على أن يظهر انحيازه، حتى لو أعلن عدم الانحياز. كان الدكتور محمد مهدي علام في قيادته (بالفعل قبل القول) طيلة ما يقرب من نصف قرن حكما حكيماً قادراً على الحكمة، وكان محايداً حقيقياً قادراً على الحياد الإيجابي بكل ما تعنيه هذه الكلمات.

### كان محدثاً وراوية

كان حديث الدكتور محمد مهدي علام طليفاً لطيفاً، وكانت رواياته حافلة بكل ما تحفل به روايات أمثاله من المفارقات والمصادفات والطرائف واللطائف، ولكنه كان شأنه شأن كثيرين أكبر من أن يجلس ليسجلها، وأعقل من أن يجعلها تحسب عليه، وأعف من أن يندفع إلى توثيقها.

ومع أنه سوف يظل محل تقدير لهذه الأخلاق الثلاثة، فإنه سيظل بمثابة من يستحق العتب المهذب (الذي لن يسمعه) مني ومن أمثالي على مثل هذا الترفع غير المطلوب، أو بالأحرى عكس المطلوب.

### إفادته من العقلية الإنجليزية

لا أظن أحداً من أساتذة الأدب أفاد في أستاذه من التعلم في بريطانيا كما أفاد الدكتور محمد مهدي علام، فقد صنع في بعثته ليكون أستاذاً شاملاً، لا هو أستاذ مؤلف فحسب، ولا هو أستاذ امتحانات فحسب، ولا هو أستاذ للدراسات العليا فحسب، ولا هو أستاذ ممارس لا مهنة فحسب، ولا هو أستاذ معلم فحسب، ولكنه كان يتفرد بالقدرة على أن يتولى رياسة هذه الأنماط جميعاً بما يقدر عليه من توجيه لكل المتطلبات المأمولة في كل هذه الطرز من الأساتذة.

وقد شغل هذا الموقع من الأستاذية طيلة فترة طويلة، وانفرد بموضع القمة (بين أساتذة الآداب)، وإن سبقه زميله الأستاذ محمد خلف الله أحمد، لكنه ظل معه في المكانة الأولى قرابة عشرين عاماً منذ وفاة الدكتور طه حسين وحتى وفاته هو.

### نشأته وشبابه

ولد الدكتور محمد مهدي علام في ٣ أكتوبر سنة ١٩٠٠ بالقاهرة، وتلقى تعليماً مديناً متميزاً في عصره فأتم المرحلة الابتدائية في مدرسة جوهر اللاله، والدراسة

الثانوية في مدرسة عثمان باشا ماهر، وكانت بمثابة مدرسة نموذجية في وقتها، و كان ناظرها هو الأستاذ الكبير احمد الحملاوي، ثم تقدم لامتحان المسابقة للقبول بدار العلوم في نوفمبر ١٩١٦، فكان أول الناجحين. وبدأ الدراسة بدار العلوم في يناير ١٩١٧ وتخرج في يونيو سنة ١٩٢٢، وقد تأخر تخرجه هو وزملاؤه بسبب أحداث ثورة ١٩١٩، ومع هذا فإنهم تخرجوا في سن صغيرة نسبيا إذا ما قورن بالسن التي أصبح الأزهريون يتخرجون فيها بعد التحاقهم بدار العلوم.

### دور قيادي في ثورة ١٩١٩

أسهم الدكتور مهدي علام في شبابه بدور بارز مع طلبة المدارس العليا (الكليات الجامعية حاليا) في مقاومة الاحتلال البريطاني، وكانت له مكانة متقدمة بين أقرانه، حيث كان العضو الممثل لدار العلوم في لجنة المدارس العليا التي كانت تعمل في سرية تامة على تأجيج الروح الوطنية في الشعب طيلة أحداث ثورة ١٩١٩. وهكذا كان الدكتور محمد مهدي علام في شبابه ثائراً مع الثوار على نحو ما كان في كهولته مديراً فاعلاً مع كبار التنفيذيين (في الحكومة والجهاز التنفيذي)، وكان في شيخوخته أحكم الحكماء في المجامع والمجالس واللجان.

وقد عاش كل مرحلة من حياته على النحو المتوائم معها، ولهذا عاش سعيداً طيلة حياته، التي كانت حياة طويلة مباركة بفضل الله سبحانه وتعالى. أحب أن أعترف بشيء طريف، وهو أنني لما سعدت بمعرفته أثرت أن يعرفه شقيقي الدكتور أحمد أيضاً، رغم عزوفه عن معرفة المشاهير والكبراء، ولا يزال شقيقي حتى يومنا هذا يتمثل سلوك الدكتور محمد مهدي علام المهذب الهادئ، وحفاوته البالغة في استقباله، وحرصه على أداء كل حقوق الضيافة والكرم بقدر لا يعتمد فيه على غيره ولا يعول فيه على نظام دائم أو غير دائم، وكأنما وصلت به الحكمة أن يعود، وهو في القمة فرداً كما بدأ وهو في الشباب فرداً.

### ابتعاثه

عقب تخرجه في دار العلوم، وهو في الثانية والعشرين من عمره، أوفد الدكتور محمد مهدي علام في بعثة علمية إلى إنجلترا فاستكمل دراسته العليا في جامعات إكستر، ولندن، ومانشستر، وقد شملت دراسته العليا الأدب الإنجليزي، واللغة العبرية، واللغة الفارسية، واللغة الألمانية، وعلم النفس، وحصل في هذه الدراسات



على دبلومات عالية، ثم حصل على درجة الدكتوراه، وكانت العادة أن يكتفي المبعوثون من طبقته بالحصول على الدبلومات، وكانت النظم المصرية والبريطانية متوافقة على هذا الاكتفاء حفاظاً لمؤسسة التعليم العام على رجاله من أن ينخرطوا في سلك التدريس الجامعي (حتى إن لم يوجد في ذلك الحين في مصر)، وحتى يحتفظ التعليم العام في مستوياته التوجيهية والرقابية بأمثاله على نحو ما كان معروفاً في هذه الأجيال.

### عضويته في الهيئات العليا

كان الدكتور محمد مهدي علام بمثابة أكبر شخصية أدبية حظيت بعضوية أكبر عدد من المجالس العليا في عهد الثورة، وعلى سبيل المثال فقد كان عضواً مؤسساً للمجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب (ثم لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية) منذ إنشائه (١٩٥٦)، ثم كان عضواً في المجلس الأعلى للثقافة، ومقرراً لشعبة الآداب فيه، كما كان مقرراً للجنة الدراسات الأدبية. واختير عضواً في المجلس الأعلى للشئون الإسلامية. كما اختير عضواً في المجالس القومية المتخصصة، للتعليم / وللثقافة والإعلام.

كذلك عين الدكتور محمد مهدي علام مستشاراً للمؤتمر الإسلامي (١٩٥٦ - ١٩٦٢)، وكان عضواً في المجلس الأعلى لدار الكتب دار الوثائق القومية من سنة ١٩٤٩ ولأكثر من عشرين عاماً.

ظل الدكتور مهدي علام عضواً في لجان الفحص للإنتاج العلمي لترقية الأساتذة المساعدين والأساتذة في لجان اللغة العربية، واللغة الإنجليزية لمدة عشرين عاماً، وكان كذلك عضواً في لجنة ترقية الأساتذة باللغة الإنجليزية بكليات جامعة الأزهر.

### عضويته في المجمع الثلاثة

اختير الدكتور محمد مهدي علام عضواً في المجمع العلمي المصري. وكان عضواً مؤسساً في مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر منذ تأسيسه سنة ١٩٦١، ومقرراً للجنة إحياء التراث الإسلامي فيه. كما توجت حياته العلمية باختياره عضواً في مجمع اللغة العربية بالقاهرة في أبريل سنة ١٩٦١ ضمن العشرة الذين عينوا في سنة ١٩٦١ بمناسبة زيادة عدد الأعضاء، وتعديل قانون المجمع.

وتبعاً للترتيب الأبجدي الذي اتبعناه في ترتيب شغل الأعضاء المعينين للكراسي، فقد كان اسم الدكتور محمد مهدي علام هو الاسم قبل الأخير بين هؤلاء العشرة، وبذلك كان الشاغل الأول للكرسي التاسع والثلاثين من كراسي مجمع اللغة العربية، وهو الكرسي الذي خلفه فيه الدكتور حسن الشافعي رئيس المجمع. وقد أصبح الدكتور محمد مهدي علام من أبرز نجوم المجمع اللغوي منذ أصبح عضواً فيه وحتى وفاته، وقد انتخب أميناً عاماً للمجمع (١٩٧٧)، ثم انتخب نائباً لرئيس المجمع في ديسمبر ١٩٨٣، وظل حتى وفاته يشغل هذا المنصب. وقد أشرف على تحرير مجلة المجمع فترة طويلة، وكان مقرراً للجنة المعجم الكبير، ومقرراً للجنة الأدب، ومقرراً للجنة التراث، ومقرراً للجنة الأصول، وعضواً في لجنة الطب، وعضواً في لجنة الهندسة.

#### ثناء الأستاذ عباس خضر على توجهاته التربوية

كتب الأستاذ عباس خضر مقالاً قيماً حافلاً بالفهم والاستيعاب بعنوان تعليم اللغة بدراسة الأساليب في مجلة الرسالة في ١٨ يوليو ١٩٤٩ يثني على الأسلوب الذي تبناه الأستاذ محمد مهدي علام في تعليم اللغة العربية حين كان عميداً لموجهي اللغة العربية فقال:

" عقد مفتشو اللغة العربية مؤتمراً بكلية دار العلوم في الأسبوع الماضي برئاسة عميدهم الأستاذ مهدي علام، ومن الموضوعات التي نظروا فيها موضوع دراسة قواعد اللغة العربية في المدارس الابتدائية والثانوية؛ وقد انتهى المؤتمر في هذا الموضوع إلى أن تدرس اللغة العربية عن طريق اللغة نفسها نصوصها وأساليبها وتستخلص القواعد من هذه الأساليب من غير إسراف في الاصطلاحات النحوية المطولة. وقد عرض الفكرة على المؤتمر، الأستاذ مهدي علام، فلقي معارضة شديدة في أول الأمر من لدن أنصار النحو والقواعد، ولكنه ما زال يبين وجهة نظره ويدلل عليها حتى وافقه الجميع إلا واحداً، وكان عند بدء عرضها لا يؤيده فيها غير واحد. "وقبل أن أعقب على قرار المؤتمر أبسط الموضوع بعض البسط فأقول: إن الطريقة الطبيعية في تعلم اللغة هي سماع مفرداتها وتراكيبها والتمرن على محاكاتها بالتعبير على مثالها، حتى تصبح القدرة على هذا التعبير ملكة يصدر عنها القلم

واللسان، أما القواعد فهي ضوابط يقصد منها التحرر من الخطأ في اللغة لا تعلم اللغة نفسها.

"وقد وضعت القواعد أول ما وضعت لذلك الغرض ولكن المشتغلين بها تدرجوا فيها إلى أن صارت دراسة مقصودة لذاتها في العصور المتأخرة، وهي العصور التي انحطت فيها اللغة وركت أساليبها، ومن المشاهد المعروف أن النحويين على قدر ما برعوا في صناعة النحو لحقهم العجز والضعف في ملكة التعبير والبيان، على خلاف البلغاء من الكتاب والشعراء الذين لم يحصلوا من تلك الصناعة إلا القدر الضروري لضبط ما يقولون ويكتبون.

"وقد رأينا في عهد التعلم معلمين يتوكؤون على الإعراب حتى في غير دروس القواعد، فإذا عرض أحدهم لبيت من الشعر مثلاً شغل بأوجه الإعراب في ألفاظه عن وجه الجمال السافر فيه، وكان لنا أستاذ ألف كتاباً سماه (ترويق الجو بتحقيق لو) ثم كان من فضل الله أن ضاع منه أصل هذا الكتاب قبل أن يدفعه إلى المطبعة فراق الجو بفقده ولم يكن من المنتظر أن يروق بتحقيق لو.. وكم رأينا مدرسين يحولون دروس المطالعة والأب إلى نحو وصرف لأنهما المجال الذي يحسنون الكلام فيه. وإن ناقشت هؤلاء في جدوى كثير من التفصيلات النحوية التي يخوضون فيها، قالوا: إنها رياضة ذهنية. أوليس من العبث أن تنفق الجهود والأوقات في هذه الرياضة الذهنية العقيم، ي هذا العصر الذي تعددت حاجاته إلى أنواع المعرفة؟

"ولا تزال مناهج المدارس في اللغة العربية مثقلة بهذا النحو، وخاصة في المدارس الابتدائية التي يبدأ فيها التلميذ تعرف اللغة العربية، فالطفل في السنة الثانية مكلف أن يعرف الفاعل والمفعول به والمبتدأ والخبر، ومطالب بتكوين جمل تشتمل على مضاف إليه خبر، ومضاف مبتدأ، ومنعوت مفعول به. . الخ، وهو لم يتصور بعد هذه اللغة التي يطلب منه أن يحللها ويفهم مصطلحات قواعدها. ولا بد أن نذكر إلى جانب ذلك حقيقة بديهية مفهومة، وهي أن اللغة العربية الفصيحة ليست لغة البيت والمجتمع الآن، فلا بد إذن من ضوابط تعصم من الخطأ فيها، ولنفرض أننا فرغنا من تصفية هذا الخليط من القواعد ومصطلحاتها وغربلته، حتى حصلنا على القدر الميسر النافع منه، فكيف ومتى يتعلمه الناشئ؟ وهنا نصل إلى ما قرره مؤتمر مفتشي اللغة العربية، وهو دراسة الأساليب واستخلاص القواعد منها، وأقرر أولاً أنه لا

جدال في ضرورة الإكثار من المطالعة بأنواعها مع التشويق إليها والإكثار من التمرين على التعبير شفويًا وتحرييرًا. ثم أسأل ما المقصود باستخلاص القواعد من الأساليب؟ هل هو أن يبدأ بتعليم القواعد على طريقة الإتيان بأمثلة كثيرة واستنتاج القاعدة منها؟ أو المقصود أن يترك الناشئ سنوات يسمع فيها اللغة ويقرأها ويعالج التعبير بها، بحيث يدركها إدراكاً كلياً، وبحيث يشعر بالحاجة إلى ضوابط لها؟ وعند ذلك تنتهز فرصة تشوقه إلى الضوابط، فيعرف بها بطريقة سهلة ميسرة؟

" أما الطريقة الأولى فهي المتبعة الآن، وهي طريقة لهوجة، لأن التلميذ لا يكاد يبدأ في تذوق اللغة حتى يصدم بالقاعدة والمصطلحات، والمأمول أن تعد المناهج الجديدة وفق الطريقة الثانية ليتحقق المنشود من دراسة الأساليب واكتساب ملكة اللغة من نفس اللغة

### مقاله المبكر عن سيد قطب

قلنا إن الأستاذ محمد مهدي علام هو الذي اكتشف عبقرية سيد قطب حين كان لا يزال طالباً في دار العلوم، وقد نشر الدكتور محمد عمارة نص المقدمة التي كتبها الدكتور محمد مهدي علام لمحاضرة تلميذه سيد قطب عن مهمة الشاعر في الحياة وشعر الجيل الحاضر في ٢٨ فبراير ١٩٣٢م، وفيها قال الدكتور محمد مهدي علام: "ولئن كنت قد قدمت المحاضر سيد قطب بأنه طالب، يسرني أن يكون أحد تلاميذي، فإني أقول اليوم - وقد سمعت محاضرتة - إنه لو لم يكن لي تلميذ سواه لكفاني ذلك سرورا، وقناعة واطمئنانا إلى أنني سأحمل أمانة العلم والأدب إلى من لا أشك في حسن قيامه عليها."

وقد كان الدكتور محمد مهدي علام من الإنصاف لدرجة أنه أشاد بالجرأة الرشيدة التي دعت سيد قطب إلى الاستقلال بالرأي في بحثه حتى " لو خالفنا في بعض ما نعتقه من الآراء الأدبية"، وهي جرأة ستجعله أحب إلى قلوبنا، إن سيد قطب باحث ناشئ تعجبنى عصبية البصيرة، وإشادته بذكر الشعراء الناشئين من أمثاله، وهو جد موفق في اختياره لهم، وليس أقل توفيقاً في اختياره من شعر نفسه، وإن ستره تواضعه وراء ستار: لشاعر ناشئ. إنني أعد سيد قطب مفخرة من مفاخر دار العلوم وإذا قلت دار العلوم فقد عنيت دار الحكمة والأدب.

## إعجاب الدكتور محمد عمارة بشجاعة الدكتور مهدي علام

زاد الدكتور محمد عمارة هذه الجزئية إيضاحاً حين عبر عن إعجابه بموقف الدكتور محمد مهدي علام من الأستاذ سيد قطب، على الرغم من انتقاد سيد قطب لطله حسين:

" وفي هذه المحاضرة سلط سيد قطب الأضواء على جيل الشعراء الشباب، الذين يتجاهلهم الكبار، ووجه النقد للدكتور طه حسين، الذي يتجاهل الأدباء الشباب، والذي يقول: إنك لتبحث عن الشاعر الشاب الذي نشأ في هذه الأعوام فصرف جماعة من الشباب عن شوقي وحافظ ومطران فلا تجده، وعن الكاتب الشاب الذي ظهر فاستحدث مذهباً في النثر صرف بعض الناس عن هيكل والمازني والعقاد فلا تظفر به.

"انتقد سيد قطب قول طه حسين هذا، مرجعاً تفرد هؤلاء الكبار بطول الزمن، وعمل هؤلاء المشهورين على تشجيع بعضهم البعض، وعمل بعضهم على محاربة الناشئة ثم تحدى عميد الأدب العربي فقال: إن هذا الشباب الناشئ لن يقنع بقسمته تلك، ولن يهن أمام العقبات وسيعمل لنفسه كما عملوا لأنفسهم، ويخلص لمجهوده كما أخلصوا لمجهودهم من قبل، والمستقبل كفيلاً!!

## مشاركاته في المؤتمرات

مثل الدكتور محمد مهدي علام مصر في عدة مؤتمرات، حين كانت المؤتمرات قليلة العدد وكبيرة المردود، فكان رئيساً لوفد مصر في جميع المؤتمرات التي عقدت لحركة التضامن الإفريقي الآسيوي، وحركة عدم الانحياز والحياد الإيجابي في مختلف بلاد العالم (١٩٥٧ - ١٩٦٣)، ولوفد مصر لمؤتمر حقوق التأليف المنعقد في تونس (١٩٧٦)، ولمؤتمر الأدباء العرب في الكويت والعراق، وفي الندوة الإسلامية العالمية التي عقدت في لاهور في باكستان (١٩٥٨)؛ حيث كان المتحدث الرسمي باسم مصر. كما أنه اشترك في تمثيل مصر في أول مؤتمر في الخارج دعيت إليه حكومة الثورة بعد قيامها، وهو مؤتمر الخريجين في القدس ١٩٥٤.

## تمثيله السعودية في تأسيس اليونسكو

ومن الطريف أنه كان هو الذي مثل الحكومة السعودية مندوباً من الحكومة المصرية (١٩٤٥) في أول اجتماع للأمم المتحدة في لندن لتأليف هيئة اليونسكو.

## التكريم

نال الدكتور محمد مهدي علام كثيرا من التكريم وحصل على جائزة الدولة التقديرية في الآداب (١٩٧٦)، وهو ثالث أساتذة الأدب العربي الأكاديميين الذين حصلوا عليها بعد طه حسين، ومحمد خلف الله أحمد.

كذلك نال الدكتور محمد مهدي علام على مدى حياته كثيرا من التكريم الرسمي، فمنح وسام الجمهورية من الطبقة الثالثة (١٩٥٦)، ووسام الجمهورية من الطبقة الثانية (١٩٧٧). ووسام العلوم والفنون من الطبقة الأولى (١٩٨٣)، ووسام العلوم والفنون (١٩٩١) عند الاحتفال بمئوية دار العلوم. وكان هو الذي ألقى كلمة الخريجين في الحفل الذي حضره الرئيس مبارك، بمناسبة الاحتفال الكبير بتأسيس دار العلوم، وقد كرمه الرئيس مبارك في هذا الحفل بنفسه بما يليق بمكانته.

## كتاب الأستاذ أبو بكر عبد الرازق

لم يكتب الدكتور محمد مهدي علام كتابا لمذكراته، ومع هذا فقد سجل الأستاذ أبو بكر عبد الرازق بعض ذكرياته في كتاب جميل نشرته مكتبة مصر.

## آثاره

- فلسفة العقوبة.
- فلسفة الكذب.
- فلسفة المتنبي.
- المتنبي بين نفسيته وشاعريته.
- نظرية في نشأة فن المقصورة في الأدب العربي.
- تربية الشباب في الإسلام (بالعربية والإنجليزية).
- نظرية الوسط بين فلاسفة اليونان وفلاسفة المسلمين.
- مجمع اللغة العربية في ثلاثين عاما.
- دراسات أدبية.

## في التراجم

- عائشة أم المؤمنين.
- رفاة الطهطاوي.

- أحمد حسن الزييات.
- جوزيف لندن سميث: الرجل والفنان (بالعربية والإنجليزية).
- بين اليراع والقرطاس، الروح الثورية لبرنارد شو (بالإنجليزية).
- المجمعيون: المائة الكرام (وهو الطبعة الأولى من كتاب المجمعيين).
- المجمعيون في خمسين عاما (وهو الطبعة الثانية من كتاب المجمعيين).

### في التحقيق

- نثر حفني ناصف (بالاشتراك مع الأستاذ محمد خلف الله).

### الكتب المدرسية

- المطالعة الوافية للمدارس الثانوية، جزءان بالاشتراك.
- النقد والبلاغة، جزءان بالاشتراك.
- قواعد اللغة العربية: النحو، والصرف، المعاني، البيان، البديع، ٧ أجزاء (بالاشتراك).

### راجع ترجمة

- علم الاجتماع، تأليف الدكتور موريس جنزبرج، ترجمة الدكتور فؤاد زكريا .
- فرعون والنسر، أو عودة المجد، ملحمة بالشعر العربي، ترجمة للملحمة الإنجليزية من شعر السيدة ثريا مهدي علام، نشر مكتبة لبنان.
- السلام الذي أعرفه، ترجمة بالشعر الإنجليزي لهذه القصيدة الطويلة لمحمود حسن إسماعيل.

### دائرة المعارف الإسلامية

كذلك فقد تولى الدكتور محمد مهدي علام مراجعة دائرة المعارف الإسلامية والتعليق على آراء المستشرقين في الأجزاء التي صدرت ما بين ١٩٤٩ - ١٩٦١. كما تولى مراجعة التحقيق والتقديم بمقدمات علمية للكتب التي صدرت من مطبوعات مجمع اللغة العربية بالقاهرة.

### وفاته

توفي الدكتور محمد مهدي علام في ١٩ مارس ١٩٩٢.

## الفصل السادس : الأستاذ محمد خلف الله أحمد

### أول الأساتذة توظيفاً لعلم النفس في دراسة الأدب

الأستاذ محمد خلف الله أحمد ١٩٠٤ - ١٩٨٣ هو الأستاذ الثالث للأدب العربي وتاريخه في الجامعات المصرية بعد طه حسين، وأحمد أمين، وهو ثاني مَنْ نال جائزة الدولة التقديرية (١٩٧٠) في الآداب من بين الأساتذة الأكاديميين بعد طه حسين.

كان الأستاذ محمد خلف الله أحمد على وجه العموم أبرز الأكاديميين في جيله، وهو الأستاذ الوحيد الذي مارس الأستاذية في الجامعات الثلاث الأولى (القاهرة والإسكندرية وعين شمس) فضلاً عن دار العلوم ومعهد الدراسات العربية، وقد تمكن من علوم اللغة والأدب ومن علوم النفس والتربية على مستوى لم يجتمع لأحد من معاصريه وربما من تلاميذه ولاحيه، وتجلت في شخصيته كل مقومات العظمة: أستاذاً كبير النفس عزيزاً، مهذباً، راقياً، هادئاً، خفيض الصوت، منجزاً، بلغت أخلاقه من التهذيب درجة لم تعد معهودة ولا متوقعة.

### فضله المتفرد في عصر كامل

على أن للأستاذ محمد خلف الله أحمد فضلاً لا يوازيه فضل أحد آخر من السابقين عليه ومعاصريه وهو فضله في إتاحة الدراسات العليا والترقي لعدد كبير ممن لمعوا بعد هذا في الحياة الأكاديمية، وذلك من خلال منفذين مهمين أولهما معهد الدراسات العربية الذي تولى عمادته وهياً من خلاله للطامحين من خريجي الجامعات المصرية والعربية والأزهر الشريف أن يبدأوا دراساتهم في الدبلوم والماجستير في الوقت الذي كانت فيه الدولة الشمولية بطبيعتها قد حرصت على تقليل فرص الدراسات العليا في الأدب العربي وما يتصل به من علوم ودراسات وذلك تبعاً لنظرية التحديد الشمولي للنسبة والتناسب بين التخصصات المختلفة، وتطبيقاً للتوجه الشمولي إلى تجفيف منابع المتصلة بالهوية في الوقت الذي كانت الدولة ترفع فيه شعار القومية العربية ولم يكن هذا غريباً فقد كانت الفكرة أن القومية العربية أداة سياسية وليست موضوع دراسة لأنها لو درست دراسة أدبية وتاريخية فسوف تفقد



قوة ومضاء السلاح السياسي الفاشي ، وهذا موضوع طويل يغيب تماما عن الاستيعاب الفكري المعاصر لكن ما يهمنا فيه هو أن الأستاذ خلف الله أتاح هذه الفرصة الذكية بهدوء شديد ودون ادعاء ودون أي فخر فقد كان الفخر كفيلا بان يدعو إلى وأد الفكرة وتوقف الانجاز و محاربة المكرمة.

### دوره في تقييم الأساتذة

أما المنفذ الثاني فهو دوره الجاد في تقييم بحوث المتقدمين لوظائف الأساتذة والأساتذة المساعدين في عصر كان الدكتور طه حسين نفسه لا يزال على قيد الحياة وكان لا بد من وجود أستاذ من طبقة خلف الله يكون قادراً على الحكم على الأمور في وجود طه حسين ومن دون تصادم معه ولا مع غيره ، وبخاصة أن الجيل الثاني وهو جيل الأساتذة شوقي ضيف وسهير القلماوي لم يكن قد استولى على المعية المرجعية بعد ، فقد كان هذا الجيل قريبا في السن والأقدمية من المتقدمين لمثل هذه الوظائف بينما كانت أقدمية الأستاذ خلف الله و أسبقيته تتيح له منصة عالية لممارسة الحكم على الأمور ، ولولا وجوده لتأخر تقييم الأساتذة في الجيل التالي إلى أن يتهيئ للجامعات بعد سنوات من يقوم بهذا الإنجاز.

### التفريق بين العميد والعميد

من الواجب أن نشير في مطلع حديثنا عن هذا الأستاذ إلى أنه في كثير من الأحيان يحدث خلط بينه وبين الدكتور محمد أحمد خلف الله، المتخرج في قسم اللغة العربية بأداب القاهرة، والذي أشرف الشيخ أمين الخولي على رسالته للدكتوراه التي أحدثت أزمة في وقتها، وكثيرا ما يتشابه اسمه على الباحثين وبخاصة لتقارب ميادين الموضوعات التي كتب فيها، مع الخلاف الواضح في مذهبيهما ومستواهما. ومن أعجب ما يمكن أن الخطأ القديم الذي كان يخلط بين الأستاذ محمد خلف الله أحمد والدكتور محمد أحمد خلف الله شاع الآن وانتشر وأصبح هو القاعدة حتى إننا قرأنا في سنوات تشردنا على الشبكة العنكبوتية أكثر من ٥ مقالات ودراسات تبدأ حديثها عن الدكتور محمد أحمد خلف الله بنقل النبذة المتاحة عن الأستاذ محمد خلف الله أحمد وتبني عليها أحكاماً قيمة ومرجعية تنسب بها فضل السابق للاحق عنوة، وبلا أي تريث، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وعلى طريقتنا في التفريق بين الأعلام فإننا نقول إنه بالرغم من أن الفارق بين الرجلين ١١ عاما فقط في السن فإن الأستاذ محمد خلف الله أحمد (١٩٠٤ - ١٩٨٣) كان رئيسا لقسم اللغة العربية في كلية آداب جامعة الإسكندرية (ومرشحا لعمادتها التي نالها بالفعل) في الوقت الذي كان فيه الدكتور محمد أحمد خلف الله (١٩١٦ - ١٩٩١) لا يزال معيدا فحسب في كلية آداب القاهرة.

بل إن الأستاذ محمد خلف الله سابق على أساتذة الدكتور محمد أحمد خلف الله فهو سابق على الشيخ أمين الخولي (١٨٩٥ - ١٩٦٥) في الأستاذية وفي نيل عضوية مجمع اللغة العربية وفي كل مكانة علمية ، و كان سبقه له متحققا في كل شيء وعلى الإطلاق وبلا استثناء ، وذلك على الرغم من أن الأستاذ أمين الخولي كان يكبره في السن، ومن المفيد أن نذكر هنا أن الأستاذ خلف الله تخرج في دار العلوم ١٩٢٨ في الرابعة والعشرين وأن الشيخ أمين الخولي تخرج في مدرسة القضاء الشرعي ١٩٢٠ في الخامسة والعشرين ، وأن الأستاذ خلف الله استكمل تعليمه ودراساته العليا في علم النفس في بريطانيا أما الشيخ أمين الخولي فقد عمل إماماً للقنصلية المصرية قبل أن ينضم إلى هيئة تدريس كلية الآداب.

#### كيف اصدر هو نفسه مبكرا بيانه

وفي مطالعاتي وجدت الأستاذ محمد خلف الله أحمد نفسه وقد بدأ يعاني مبكراً من هذا الخلط حين قدم الدكتور محمد خلف الله رسالته ورفضت وأثارت ما أثارته من غضب الرأي العام ولهذا فإنه أصدر بيانا بعنوان " خشية الالتباس " يوضح فيه الحقيقة فيما يتعلق باللبس بين اسمه واسم الدكتور محمد أحمد خلف الله الذي لم يكن إلا بمثابة تلميذ لأقرانه اللاحقين به ولم يكن تلميذاً مباشراً له!! وهذا هو نص بيان الأستاذ محمد خلف الله أحمد:

#### نص بيانه : خشية الالتباس

" إن محمد أفندي أحمد خلف الله المعيد بكلية آداب القاهرة وصاحب بحث الفن القصصي في القرآن الذي تناولته مجلة الرسالة بالنقد والتنفيذ شخص آخر غير محمد خلف الله أحمد أستاذ الأدب العربي بجامعة فاروق الأول بالإسكندرية، وخريج دار العلوم وجامعة لندن، وصاحب الكتب والبحوث المعروفة في الدراسات النفسية والأدبية والنقدية!

إن هذا التشابه في الاسمين قد اضطرني أن أنبه إليه مراراً في الصحف اليومية في مناسبات سابقة، ولكنه في الموقف الحاضر يوشك أن يشوه بعض ما يعرف القراء عني من التزام لجادة الحق والعلم والدين في كتبي ومقالاتي".

### **محمد خلف الله أحمد**

رئيس قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة الإسكندرية

### **علمه بالتربية وعلم النفس**

كان علم الأستاذ محمد خلف الله أحمد بالتربية وعلم النفس وأستاذيته في علومها لا يدع مجالاً لتصور أنه أستاذ أدب في الأساس، وكان تألقه في عمادة الآداب قد استوعب حضارة العصر ومدنيته ولغته وتوجهه حتى أصبحت حياته صورة للأكاديمي الحقيقي الذي حقق التألق في الأستاذية إلى الدرجة التي تبرز معها روحه الأكاديمية في أمريكا أو إفريقيا على حد سواء.

في تاريخ الدراسات الأدبية العربية فقد كان الأستاذ محمد خلف الله أحمد هو صاحب الفضل الأوفى في توثيق الصلة بين علم النفس (كعلم وليس كثقافة فحسب) ودراسات الأدب، وقد استعان على هذا التوجه بأستاذ الأدب العربي الكبير أحمد أمين الذي مكنه من أن يقرر تدريس كتابه "من الوجهة النفسية في دراسة الأدب"، وقد صادف توجهه هذا النجاح المأمول بفضل ما كانت البيئة الثقافية قد عرفته من جهود للعقاد وطه حسين في هذا الميدان.

### **فضله على**

وفيما يخلصنا فإننا لا نفوت الفرصة لنذكر أن الأستاذ محمد خلف الله أحمد كان واحداً من الذين شرفوني بمنحي جائزة مجمع اللغة العربية في الأدب ١٩٧٨، وكان لتقديره لي ولبحثي مذاق خاص لا أزال أحس بفخره الباعث على النشوة، رغم مضي ما يزيد عن أربعين عاماً، وقد اتصل تقديره لي فيما بعد ذلك فيما تبقى من عمره فكان حديثه عني في غيابي من مؤهلات ما حزته من التقدير.

### **اعتزازه بنفسه**

كان الأستاذ محمد خلف الله أحمد فائق الالتزام بكل شيء، بالموعد وبالبادئ وبالخلق الكريم وبالآداء السامي المترفع، وكان يحظى باحترام أقرانه وتلاميذه وبتقنة

كل مَنْ كانوا أكبر منه، ومع هذا فقد كان هو نفسه قادراً على أن يمنح الثقة لرؤسائه، أو يحجبها.

### اعتذاره عن العمل تحت رئاسة وزير سابق

ورغم ما هو معروف عن تهذيب الأستاذ محمد خلف الله أحمد وتواضعه وسماحته فإنه لم يكن ليتقبل أن يرأسه من لا يراه حقيقاً برئاسته، ولهذا السبب فقد آثر الاستقالة من منصبه كعميد لمعهد الدراسات العربية حين أسست المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم وجُعل المعهد تابعاً لها بعد أن كان مستقلاً ، وهو أسلوب لا يلجأ إليه إلا من كان على قدر كبير من عزة النفس، فقد كان في وسعه أن يقنع نفسه بأن من عين كمدير للمنظمة كان وزيرا سابقا ومدير جامعة سابقا ، وهو الدكتور عبد العزيز السيد، لكنه لم يشأ أن يقبل مثل هذا الوضع.

### مبلغ محبته عند الاكاديميين

أجمع مرؤوسوه على حبه وتقديره، وكانت عمادته من الحالات النادرة التي يجاهد فيها الأساتذة وأعضاء هيئات التدريس من أجل استبقاء العميد، وكان حريا بأن يصل في مناصب الجامعة إلى رياستها لولا ما أبدته يوليو ١٩٥٢ في أول عهدها من حساسية تجاه كبار رجال الدولة ممن كانوا متزوجين من أجنبيات، حيث كانت النية المعلنة تتجه إلى إبعاد أزواج الأجنبيات عن المناصب الجامعية الكبرى و كانت زوجة السيدة آن خلف الله سيدة إنجليزية عملت في حقل التعليم المصري، وتركت مآثر مجيدة فيه ، وقد تضامن من أجله زملاؤه الأساتذة من دون أن يطلب منهم هذا ، وقد روى لي هذه القصة الدكتور حسين فوزي مدير جامعة الإسكندرية بالنيابة يومها. وكان هو الآخر متزوجا من اجنبية ولهذا السبب نفسه ترك الدكتور حسين فوزي جامعة الإسكندرية التي كان يتولى رياستها بالنيابة إلى منصب الوكيل الدائم لوزارة الإرشاد القومي.

ومع هذا فإن الأستاذ محمد خلف الله أحمد نال منصب وكيل الجامعة بحكم الأقدمية، وكان حفيا بالوصول إلى رئاسة الجامعة والبقاء فيها فترة من الزمن لتتضح بصماته في مثل هذا الموقع أيضا.

## الطراز المتسامي من النقد

كان الأستاذ محمد خلف الله أحمد ناقدًا حصيفًا، وقد تميزت معالجاته النقدية بحس راق إلى أبعد الحدود، وبتواضع في معاملة النصوص وباحترام للإبداع، وبقدرة فائقة على الكشف عن مواطن الجمال والتميز، كان نقده هادئًا ولم يكن يعلو بأرائه على آراء المبدعين من أي عصر كانوا.

وقد عبر نقده عن شخصيته، فقد كان في وسعه أن يكون جهير الصوت في المجتمعات وفي وسائل الإعلام، ولكنه أثر العطاء الأكاديمي المتند، والعطاء المجمعي الهادئ المستمر، وقد بقيت أستاذه في تلاميذه وأعمامهم التي أشرف عليها وفي آثاره العلمية، وهي أستاذية مرموقة دالة على عقل كبير وعلم غزير .

## نشأته

ولد الأستاذ محمد خلف الله أحمد بالعمرة - سوهاج (١٩٠٤) - وتخرج في كلية دار العلوم (١٩٢٨)، وكان أول تلك الدفعة، وهي الدفعة التالية لدفعة المشاهير، الإمام الشهيد حسن البناء، والدكتور إبراهيم مدكور، والشيخ محمد أبو زهرة، والشيخ علي حسب الله، والأستاذ البيهي الخولي.

كان الأستاذ محمد خلف الله قد عُرف بالشعر وهو لا يزال طالبًا. ابتعث الأستاذ محمد خلف الله إلى إنجلترا في العام التالي لتخرجه (١٩٢٩)، فحصل على بكالوريوس في علم النفس (١٩٣٤)، وعلى الماجستير (١٩٣٧) برسالة عن الأحكام الخلقية عند أطفال المدارس وعلاقتها بالعمر العقلي. وفي لندن كان له نشاط علمي ملحوظ، وقد حاضر في مدرسة اللغات الشرقية، وتولى تنسيق وتنظيم نشاط الطلاب المصريين ومؤتمراتهم.

## وظائفه بعد عودته من بعثته

عين الأستاذ محمد خلف الله بعد عودته (١٩٣٧) مدرسا في دار العلوم، ثم في آداب القاهرة، وانتقل إلى كلية آداب الإسكندرية عند تأسيسها (١٩٤٢)، ورأس قسم اللغة العربية بها (١٩٤٨)، واختير عميدا للكلية (١٩٥١)، وجدد تعيينه في ذات المنصب أكثر من مرة، ثم اختير ليكون وكيلا لجامعة عين شمس (١٩٦١)، وبقي في هذا المنصب حتى أحيل إلى التقاعد فعمل مديرا لمعهد الدراسات العربية، حيث لا تزال آثار تنظيمه له وعمله فيه واضحة!

ومن الإنصاف أن نذكر أن دوره في معهد الدراسات العربية كان هو الذي أضفى على هذا المعهد ورسائله ودراساته ذلك الطابع المتميز الذي ارتبطت به شخصية ذلك المعهد بعيدا عن التكرار السهل وبعيدا أيضا عن الإغراب غير المفيد.

### **دوره في ضبط المعايير الأكاديمية**

تصدى الأستاذ محمد خلف الله أحمد عن زملائه وعن وطنه فتحمل قدرًا كبيرًا من أعباء البناء والتأسيس والتأطير والتنظيم والرقابة في المحيط الأكاديمي، وأدى هذا واجب الأستاذية المرهق كله بسعادة على الرغم من أن الوقت الذي بذله في هذه المجالات كان على حساب الفرصة المتاحة أمامه في مجال التعامل مع الأدب والآداب؛ حيث كان من الممكن له أن يؤصل فيها أعمالًا علمية خالدة لفترات طويلة.

### **دراساته عن القومية العربية وإسهاماته الثقافية**

لمع اسم محمد خلف الله أحمد وبلغ نضجه الأكاديمي في الفترة التي ازدهرت فيه دعوة القومية العربية، فكان إسهامه في هذا الميدان إسهامًا حقيقيًا صادقًا معبرًا عن الانتماء وبعيدًا عن الاستثمار السياسي قصير النظر، حتى إن آثاره القليلة في هذا الميدان تفوق في قيمتها كل ما كتبه غيره لدواعٍ وقتية.

### **اتصاله بالمجتمع الثقافي**

كان الأستاذ محمد خلف الله حريصا على الاتصال بالمجتمع الثقافي، وكان مقررا للهيئة الإقليمية للفنون والآداب في الإسكندرية، ولم يبتعد عن النشاط السياسي في عهد الثورة، وقد شارك في شبابه في تحرير كثير من المجلات الأدبية، وكتب في مجلة الثقافة من أول عهدها وحتى أواخر ١٩٤٧ بصفة شبه دائمة، وقد كتب في كثير من الموضوعات في مجالات: علم النفس، والنقد، والتاريخ الإسلامي، والآداب العربي، والشخصيات.

### **عضويته المبكرة في مجمع اللغة العربية**

نال محمد خلف الله كثيرا من التكريم والتقدير، وقد توجت حياته الأكاديمية بانتخابه عضواً في مجمع اللغة العربية (١٩٥٩) في عصر الانتخابات المعجزة أي الانتخابات التي كانت تتطلب موافقة الثلثين، فسبق في عضويته كثيراً من أعلام الأساتذة الدرعميين الذين سبقوه في التخرج، ومنهم الأستاذ عبد الحميد حسن، والدكتور محمد مهدي علام، والأستاذ إبراهيم عبد المجيد اللبان، والأستاذ عطية

الصوالحي، والأستاذ علي النجدي ناصف، والأستاذ علي السباعي، والأستاذ عبد الفتاح الصعبي، والأستاذ علي الجندي، الأستاذ علي عبد الواحد وافي. وقد انتخب ليشتغل الكرسي الثامن من كراسي المجمع، الذي كان يشغله الأستاذ محمد الخضر حسين منذ تأسيس المجمع وحتى وفاته في ١٩٥٨. وكان الذي استقبله في المجمع هو الأستاذ إبراهيم مصطفى، أما الذي قام بتأيينه فكان هو الأستاذ عبد السلام هارون. وكذلك ألقى الدكتور إبراهيم مدكور كلمة في تأيينه وقد خلفه في كرسيه الدكتور كمال بشر.

وهكذا كان من حظه أن يخلف شيخا للأزهر وأن يستقبله لغوي وأن يؤبئه لغوي وأن يخلفه لغوي.

### المعجم الوجيز

كان الأستاذ محمد خلف الله أحمد واحدا من المجمعين الذين عنوا بوضع المعجم الوجيز وقد اشترك في هذا العمل مع الأساتذة إبراهيم أنيس وعلي النجدي ناصف وأحمد الحوفي، كما اشترك في هذه اللجنة الدكتور أحمد عمار والأستاذ محمد شوقي أمين وإن كانت الأدبيات المعجمية تقدم المعلومات عن هذه المشاركات بقدر من الاضطراب.

### جائزة الدولة التقديرية في الآداب

منح الأستاذ محمد خلف الله جائزة الدولة التقديرية في الآداب (١٩٧٠)، وكان كما ذكرنا ثاني أستاذ أدب ينالها بعد طه حسين (١٩٥٨)، وقد تبعه بعد ست سنوات من أساتذة الأدب البارزين أربعة نالوها على التعاقب عامًا بعد آخر، وهم الدكاترة: محمد مهدي علام (١٩٧٦)، وسهير القلماوي (١٩٧٧)، وعائشة عبد الرحمن (١٩٧٨)، وشوقي ضيف (١٩٧٩).

### آثاره

حفظت المكتبة العربية من آثار الأستاذ محمد خلف الله أحمد:

- من الوجهة النفسية في الأدب.
- دراسات في الأدب الإسلامي.
- الثقافة الإسلامية والحياة المعاصرة.

- الإسلام والحضارة.
- الطفل من المهد إلى الرشد.

### نماذج لشاعريته الرقيقة

من ألطف أشعار الأستاذ محمد خلف الله أحمد قصيدته البائية هادئة النفس "قم أخي" التي كتبها مودعا مصر قبل سفرة من سفرات بعثته وفيها يعبر عن اعتزازه بالحديث عن مصر وفضلها العلمي عليه مصرحا بان هذا الحنين الصادق اهم عنده من الحديث عن الانثى والموسيقى والفن :

قُبَيْلَ مَسْرَى الرَّكَابِ  
لُفْرَقَةٍ وَاغْتَرَابِ  
صَنِيعُهَا فِي الرَّقَابِ  
مِنْ نَضْرَةٍ وَشَبَابِ  
سِرِّ الْهَوَى وَالْتِصَابِ  
طُورًا وَطُورًا يَبَابِ  
كَالْأَرْقَطِ الْمُنْسَابِ  
يَشْتَقُّ صَدْرَ الْعُيَابِ  
فِي مَثَلِ شَمِّ الْهَضَابِ  
يَنْتَبِي عِنَانَ الرَّكَابِ  
أَوَارِهَا غَيْرُ خَبَابِ  
مَهْدَ الْأَمَانِي الرَّغَابِ  
مَضَى كَعُمُرِ الْخُبَابِ  
لَمْ يَرْتَدُوا ثُوبَ عَابِ  
مَوْتُوقُ الْأَسْبَابِ  
وَعَزَّةُ الْأَعْرَابِ  
دِييَا جَاءَ مِنْ شَرَابِ  
عَلَى مَدَى الْأَحْقَابِ  
عَزِيمَةٌ كَالشَّهَابِ  
بِوَاكِيرِ الْأَدَابِ  
سَلِيلَةُ الْأَعْرَابِ  
بِكَلِّ لَحْنٍ عُجَابِ  
لَا زِينَةَ وَالرَّيَابِ

أَخِي قُمْ نَتَزَوِّدْ  
غَدًا تُحَنَّتْ الْمَطَايَا  
غَدًا نَنُودِّعُ دَارًا  
فِيهَا لَبَسْنَا قَشِيبًا  
وَمِنْ هَوَاهَا عَرَفْنَا  
غَدًا عَلَى مَثَلِ بَحْرِ  
فَمِرَّةً فِي قَطَارِ  
وَمِرَّةً فِي سَفِينِ  
يَلْفُوهُ كُلُّ مَوْجِ  
نَسِيرُ وَالشُّوقُ مَنَّا  
وَالشُّجُو يُضْرَمُ نَارًا  
نَسْتَوْدِعُ اللَّهَ مِصْرًا  
يَارُبُّ يَوْمٍ بِمِصْرِ  
مَا بَيْنَ إِخْوَانِ صَدَقِ  
عَهْدُ الْوَفَاءِ لَدَيْهِمْ  
فِيهِمْ عِمَادَةُ مِينَا  
يَا دَارُ عَهْدِكَ أَصْفَى  
وَذَكَرِي تَأْتِيكَ أَبْقَى  
فَأَنْتِ أَيْقَظْتِ فِينَا  
عَلَّمْتِنَا كَيْفَ نَجْنِي  
عَلَّمْتِنَا كَيْفَ نُحْيِي  
عَلَّمْتِنَا كَيْفَ نَشْدُو  
بِكَ افْتَتَحْتُ قِصْدِي



وباسمك ازدان شعري  
يامصرُ هذا وداعي  
أودعته فيض قلبي  
يامصرُ جوَّك صخوُّ  
والأنجمُ الزهرُ فيه  
ونيلك العذبُ يجري  
أزمتِ عنك لـجـوَّ  
تَهْمِي عليه الهوامل

فسار بين الصَّحاب  
إليكِ قبل اغترابي  
علَّي أبتُّك ما بي  
لم ينتقبْ بضباب  
لم تدرِ سرَّ الحجاب  
في رقَّة وانسياب  
مُكلِّ بالسحاب  
كالعـارض التـسكاب

ومن الأشعار الذكية الجياشة بالحب التي نظمها أستاذنا محمد خلف الله أحمد قصيدة بعنوان: "عهد لا ينسى" وفيها يعبر بأرفع الأساليب كناية وتصريحا حينه لوطنه، وذلك حيث يقول :

سقاك وحيَّك الحيا من بُنيَّة  
ذهبن كساعات الوصال حميدة  
ستمضي وريعان الشباب وينقضي  
ويطوى بساط اللهو والصفو والهوى  
أملهم أشعاري ومجلى خواطري  
أليأتك - اللاتي مضيّن - رواجع  
لئن كنتُ قد أزمتُ عنك تحمُّلاً  
أذيعُ الذي استودعتني من مفاخر

مضت لي سبغ في ذراها كوامل  
وقد غفل الواشي وغاب العوائل  
زمانٌ بأوطان الشببية حافل  
ويزحمننا شغل من العيش شاغل  
ومجمع أترابي سقتك الهواطل  
وأيامك - اللاتي ذهبن - قوافل  
لعهدك مرعي، وذكرك مائل  
وأنشر ما ترضى العُلا والفضائل

## المحتويات

٥	هذا الكتاب
١١	الفصل الأول
١١	العلامة حفني ناصف
١١	الذي انتقل بالأدب العربي من الموسوعية للأكاديمية
١١	نشأته
١٢	عقابه على اشتراكه في الثورة العربية
١٢	إسهامه في الحياة العامة
١٣	ابنتاه كوكب وملك
١٣	الاب الروحي لأول مؤسسة نقابية وعلمية : نادي دار العلوم
١٣	الوعي لريادة لريادة للمجتمع المدني
١٤	نظم أول مؤتمرات لقضايا الأمة
١٤	رسم سياسة التعريب
١٤	دعوته المبكرة لإنشاء بنك مصري و لدراسة المعاملات المالية
١٥	إسهامه في انشاء الجامعة المصرية و وضع مقرراتها
١٥	مؤتمر المستشرقين
١٥	تميزه في أستاذه لتاريخ الادب
١٦	اعتبر علوم اللغة كلها جزءا من الأدب
١٦	التوسع في دلالة الأدب
١٦	ظل يعتبر علوم اللغة جزءا من دراسة الأدب
١٦	الرافعي تآثر به بينما تأثر الاسكندري و الزيات بجورجي زيدان
١٦	رواد الجامعة مالوا إلى رأيه
١٧	ريادته الفذة في دراسة اللهجات
١٧	إسهاماته الفذة في علوم اللغة
١٧	قصة شرحه لكتاب الكافي في علم العروض
١٨	اشترآكه مع الاسكندري وعناني في مراجعة كتابه المصحف
١٨	التعريف برسم المصحف الشريف
١٨	ريادته في النثر الفني الحديث

١٩.....	شاعرية حفي ناصف
١٩.....	جهده في التاريخ
١٩.....	قيمة مؤلفاته التربوية : الدروس النحوية
٢٠.....	حديث طه حسين المنصف عنه
٢١.....	إشادة طه حسين بأخلاقه وتواضعه
٢١.....	تكريم أكبر أساتذة الأدب له
٢١.....	ظهور مجده في أبنائه
٢٢.....	التعريف بابنه عصام الدين حفي ناصف
٢٣.....	نبله مع الأستاذ مصطفى صادق الرافعي
٢٣.....	آثاره
٢٣.....	قصيدته في ذكرى مرور أربعين يوماً على وفاة الشيخ محمد عبده
٢٥.....	قصيدته الرائعة في رثاء قاسم أمين
٢٥.....	قصيدته في رثاء الشيخ حمزة فتح الله
٢٦.....	قصة العلماء الستة الذين رثوا الشيخ محمد عبده وتوفوا بترتيب إلقائهم
٢٧.....	فجيعة في ابنته ملك
٢٩.....	وفاته وتكريمه
٣٠.....	الفصل الثاني
٣٠.....	الأستاذ الشيخ سيد المرصفي
٣٠.....	الذي جعل الأدب علماً من العلوم
٣٠.....	أستاذ الجيل الذي تحقق فيه معنى اللقب
٣١.....	نشأته
٣٢.....	تأثيره العميق غير المسبوق
٣٢.....	بيته امتداد للآزهر
٣٣.....	تحقيق الدكتور البيومي لمرحلة تكوينه العلمي
٣٣.....	فخر الدكتور زكي مبارك بصحبته للمرصفي
٣٣.....	اعتزاز الأستاذ محمود شاعر بما تلقاه عنه من العلم
٣٤.....	مارواه الشيخ محمد شاعر لابنه محمود عنه
٣٤.....	كان يحتفظ لنفسه ببعض أسرار العلم
٣٤.....	مشاركته في الثورة العربية
٣٤.....	قصيدته المرصفية في مدح عرابي باشا
٣٥.....	قصيدته في مدح الشيخ الشرييني
٣٥.....	حصوله على العالمية من الدرجة الأولى

٣٥.....	رواية الأستاذ شاکر عن تخليه عن وظيفته
٣٥.....	حبه للمبرد وإحياؤه لكتابه
٣٦.....	تصويبه لبعض آراء المبرد متأثراً بحماس الأزهريين في تنفيذ الخطأ
٣٦.....	حبه لكتاب الأمالي لأبي علي القالي
٣٦.....	أسرار الحماسة
٣٦.....	العقد الفريد لابن عبد ربه
٣٧.....	أراجيز رؤبة والعجاج
٣٧.....	حديثه عن منهجه
٣٧.....	وصف الدكتور البيومي لأستاذه
٣٧.....	موسوعيته وإحاطته بدقائق العلوم
٣٨.....	ثناء الشيخ عبد العزيز البشري
٣٨.....	ثناء الدكتور طه حسين عليه في كتابه عن المعري
٣٩.....	حديث الدكتور طه حسين عنه في كتابه الادب الجاهلي
٣٩.....	مديح الأستاذ أحمد حسن الزيات له
٣٩.....	إعجاب الأستاذ محمود شاکر بالقائه للشعر
٤٠.....	رأي الدكتور محمد كامل الفقي
٤٠.....	اختياره عضواً في جماعة كبار العلماء
٤٠.....	صورته البديعة كما رسمها كتابه الأيام
٤٠.....	تصوير طه حسين لإقبالهم على دروسه
٤١.....	تكاسل الطلاب العاديين عن حضور دروس الشيخ
٤١.....	ما اشتهر عن حماية الأستاذ الإمام للشيخ المرصفي
٤٢.....	المحبة بين المرصفي و طه حسين بدأت مع تدريسه للنحو
٤٢.....	أول من صحب طه حسين إلى المقهى
٤٢.....	حديثه نقد لاذع لبيئة الأزهريين
٤٣.....	الزملاء الثلاثة في دروس الشيخ
٤٣.....	كيف بث المرصفي الحرية في نفس طه حسين
٤٣.....	كان له الفضل في أن أصبح لعصبة الثلاثة شأن
٤٤.....	رأي طه حسين في قيمة المرصفي كأديب
٤٤.....	مثالية المرصفي
٤٤.....	صالون الشيخ المتواضع
٤٥.....	روح المودة التي كان الشيخ يضيفها
٤٥.....	كان يعيش المجد مع صعوبة أحواله المادية
٤٥.....	طه حسين يفضّل القول في دخله المالي

٤٥.....	الحياة البائسة الحرة الممتازة
٤٦.....	احتذاء نوايغ جيل طه حسين بالمرصفي
٤٦.....	كيف نصح طه حسين بعدم دخول الامتحان
٤٧.....	آثاره
٤٧.....	وفاته ومكتبته
٤٨ .....	الفصل الثالث
٤٨ .....	الدكتور أحمد ضيف
٤٨ .....	أول الاكاديميين المتأهلين في الغرب
٤٩.....	تعويل الدكتور شوقي ضيف على صياغته للمصطلحات
٤٩.....	شهادة الدكتور أحمد هيكل
٤٩.....	الدكتور الطاهر مكي
٤٩.....	إزاحته تمت بعد تحقيقه لإنجازه
٥١.....	قصة هجوم طه حسين على كتابه الثاني
٥١.....	عبارات النقد : موقِّق في التعليم، غير موقِّق في التأليف
٥٢.....	المقال كان متسقا مع ما دبر ولم يكن سببا للتدبير
٥٢.....	حقيقة علاقته بطه حسين من نص لطه حسين نفسه
٥٢.....	حلول طه حسين محله و هجومه عليه
٥٣.....	عودته لكلية الآداب عند تقاعده
٥٣.....	تكريمه
٥٣.....	نشأته
٥٣.....	الدكتوراه
٥٤.....	عودته من بعثته
٥٤.....	أستاذه المبكرة و سبقه لطه حسين في تقديم الأفكار
٥٥.....	نجاحه في تأصيل المصطلحات النقدية
٥٥.....	ريادته للدراسات الأدبية الحديثة
٥٥.....	الأدب الأندلسي
٥٥.....	كان اول من دعا الى الاهتمام بالأدب الشعبي
٥٥.....	كتب مقدمة لأول كتاب في الأدب الشعبي
٥٥.....	دوره في نشأة دراسات الأدب المقارن
٥٥.....	تأثره الذكي بالغربيين
٥٦.....	اهتمامه بالمرح
٥٦.....	كتابه عن العوامل المؤثرة في الأدب

٥٦.....	الأدب القومي وعلاقة الأدب بالمجتمع
٥٦.....	كتابه المرجعيان : المؤلفات العلمية
٥٧.....	من مؤلفي المجلد والمفصل و المنتخب في تاريخ الأدب العربي
٥٧.....	المشاركة في الحياة الثقافية من خلال الصحافة
٥٧.....	كان من فريق مجلة السفور
٥٨.....	دوره في مجلة الثقافة
٥٨.....	آثاره القصصية والروائية والمسرحية
٥٨.....	الترجمة
٥٨.....	سبقة في كتابة السيرة الذاتية
٥٩.....	حديث الأستاذ محمد أمين حسونة عن رواية منصور
٥٩.....	التعريف بفرانسوا بونجان شريكه في تأليف روايته
٦٠.....	رأي جان لوتي في طبيعة اشتراك الكاتبين
٦٠.....	رأي الناقد علي شلش
٦٠.....	إنصاف الدكتور علي شلش للدكتور ضيف
٦١.....	آراؤه الاجتماعية
٦١.....	زكي مبارك يراه افضل من احمد امين
٦١.....	إشادته بزكي مبارك
٦٢.....	رأي الدكتور جابر عصفور
٦٢.....	عضوية مجلس إدارة جمعية أبولو
٦٢.....	وفاته
٦٣.....	الفصل الرابع الأستاذ علي النجدي ناصف
٦٣.....	الأستاذ الذي جدد حينا للمنتهي
٦٣.....	اللقب المطلق للأستاذية
٦٤.....	أستاذيته في النحو واللغة
٦٤.....	استاذيته في تاريخ العلم وفلسفته
٦٤.....	كتابه عن القضايا العلمية في النحو
٦٤.....	بين القرآن والنحو
٦٥.....	قراءة ابن عامر "كن فيكون" بالفتح والضم
٦٥.....	الدكتور شوقي ضيف يثني على علمه
٦٦.....	عضويته في مجمع اللغة العربية
٦٦.....	تصريف الضمير و أسرار الزيادة في القرآن الكريم
٦٧.....	دراسته لثلاثة من الشعراء من عصور مختلفة

٦٧.....	القصة في الشعر العربي
٦٧.....	من الرعيل الثالث لمؤلفي الكتب المدرسية
٦٧.....	تحقيقاته و مراجعاته للتحقيق
٦٨.....	تحقيقه لكتب القراءات القرآنية والتفسير
٦٨.....	تحقيقه لكتاب الاستذكار في فقه السنة
٦٨.....	إكبار زملائه له
٦٨.....	قال الأستاذ عبد الحميد حسن في استقباله عضواً في مجمع اللغة العربية:
٦٩.....	د. إبراهيم بيومي مذكور في تأبينه
٦٩.....	قال الدكتور شوقي ضيف في تأبينه
٦٩.....	نشأته العلمية
٧٠.....	واحد من أربعة من النحاة قبل عبد السلام هارون
٧٠.....	العودة إلى دار العلوم
٧٠.....	نموذج لقدراته النقدية والأدبية
٧١.....	قصة مقالاته عن المتنبي
٧١.....	تعمقه في الدراسة المتنبوية
٧٢.....	التعقيد في شعر المتنبي كان عارضا طارئاً
٧٣.....	المتنبي لم يكن بخيلاً
٧٤.....	تمتع المتنبي بالكرم والسلاسة في شعره
٧٤.....	الأمثلة العديدة على عزة نفس المتنبي
٧٥.....	يؤكد رأيه في نفي البخل عن المتنبي
٧٥.....	هل عانى المتنبي من الإحباط ؟
٧٦.....	المتنبي مصور موهوب حتى في شعر الحكمة
٧٧.....	المتنبي كان يبث الحياة والحركة في كل ما يتناوله
٧٨.....	المتنبي هو شاعر العربية الأكبر
٧٩.....	الفصل الخامس : الدكتور محمد مهدي علام
٧٩.....	أستاذ لكل العصور
٧٩.....	آثر سلطان العلم على المناصب فنالهما معا
٨٠.....	كان مثلاً أعلى للأستاذية
٨٠.....	آثره في تعليم الملك فاروق
٨٠.....	كان صانعاً للنجوم عن حق
٨٠.....	ثلاثة نماذج لمن اكتشفهم
٨١.....	طراز فريد من الأبوة

٨١	سلطاته المبكرة
٨١	أدواره في التخطيط والتشريع
٨٢	دوره في تأسيس جامعة عين شمس
٨٢	أدواره بعد بلوغه الستين
٨٢	في مجال النشر
٨٣	طراز فريد من الأبوة
٨٣	أصبح هو نفسه السلطة العليا
٨٣	كان أستاذاً فائق الشعبية
٨٤	قدراته النفسية
٨٤	كان تعادلياً في رؤيته
٨٤	كان حكماً ممتازاً متفرداً
٨٤	مكانه لا يزال شاغراً
٨٥	كان محدثاً وراوية
٨٥	إفادته من العقلية الإنجليزية
٨٥	نشأته وشبابه
٨٦	دور قيادي في ثورة ١٩١٩
٨٦	ابتعائه
٨٧	عضويته في الهيئات العليا
٨٧	عضويته في المجامع الثلاثة
٨٨	ثناء الأستاذ عباس خضر على توجهاته التربوية
٩٠	مقاله المبكر عن سيد قطب
٩١	إعجاب الدكتور محمد عمارة بشجاعة الدكتور مهدي علام
٩١	مشاركاته في المؤتمرات
٩١	تمثيله السعودية في تأسيس اليونسكو
٩٢	التكريم
٩٢	كتاب الأستاذ أبو بكر عبد الرازق
٩٢	آثاره
٩٢	في التراجم
٩٣	في التحقيق
٩٣	الكتب المدرسية
٩٣	راجع ترجمة
٩٣	دائرة المعارف الإسلامية
٩٣	وفاته



٩٤	..... الفصل السادس : الأستاذ محمد خلف الله أحمد
٩٤	..... أول الأساتذة توظيفاً لعلم النفس في دراسة الأدب
٩٤	..... فضله المتفرد في عصر كامل
٩٥	..... دوره في تقييم الأساتذة
٩٥	..... التفريق بين العميد والعميد
٩٦	..... كيف اصدر هو نفسه مبكراً بيانه
٩٦	..... نص بيانه : خشية الالتباس
٩٧	..... علمه بالتربية وعلم النفس
٩٧	..... فضله على
٩٧	..... اعتزازه بنفسه
٩٨	..... اعتذاره عن العمل تحت رئاسة وزير سابق
٩٨	..... مبلغ محبته عند الاكاديميين
٩٩	..... الطراز المتسامي من النقد
٩٩	..... نشأته
٩٩	..... وظائفه بعد عودته من بعثته
١٠٠	..... دوره في ضبط المعايير الاكاديمية
١٠٠	..... دراساته عن القومية العربية و إسهاماته الثقافية
١٠٠	..... اتصاله بالمجتمع الثقافي
١٠٠	..... عضويته المبكرة في مجمع اللغة العربية
١٠١	..... المعجم الوجيز
١٠١	..... جائزة الدولة التقديرية في الآداب
١٠١	..... آثاره
١٠٢	..... نماذج لشاعريته الرقيقة

**Prof. Mohamed El Gawady**

ISIN : 0000 0001 2122 604X

**The Pioneer Professors  
of Arabic Literature Studies  
1900-1990**

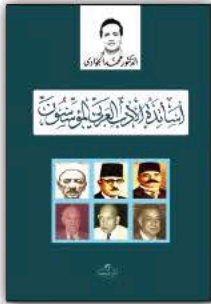






## الدكتور محمد الجوادى

يستضى هذا الكتاب بستة نماذج مضيئة لما يمكن أن يسمى بأستاذية الأدب التأسيسية ، ويمثل كتابنا هذا حلقة من دراساتنا لتاريخ مؤرخي الأدب إذ نستكمل به ما كنا قد بدأناه منذ ثلاثين عاما من حديث منشعب عن جهود الأستاذين طه حسين وأحمد أمين وهو ما قدمناه في أكثر من عمل من أعمالنا وأصبح كغيره من أعمالنا الموازية في حاجة ماسة إلى أن تعاد صياغته وتقديمه في نسج مؤتلف ، نرجو الله أن يوفقنا إليه وأن يمد في عمرنا و يمنحنا القدرة على إنجازه . ونستبق بهذا الكتاب ما نؤمل أن يوفقنا الله اليه من نشر أجزاء موسوعتنا التي تتضمن حديثنا عن أساتذة الأدب المؤثرين الذين قدر لهم أن يضعوا بصمتهم في الفكر المعاصر والحياة العقلية ، وهي موسوعة مبسطة نشرنا كثيرا من فصولها على مدى سنوات ممتدة وقدمنا من خلالها رؤية مختلفة عن الشائع لكنها تعبر عما نؤمن به من القيمة العالية لهذه الأستاذية في الحياة الجامعية و الأكاديمية ، وهو إيمان يزيد في حجمه على حجم إيمان أصحاب هذه الأستاذية أنفسهم بما هو معروف عنهم مما أصابهم به المجتمع من ظلم جمع عليهم قبل غيرهم مزيجا مركزا من لجوء العلماء للتحفظ ، و شعور المفكرين بالقهر ، وإحساس الأدباء بالإحباط فأصبحوا وهم لا يكادون يؤمنون بقيمة و حجم دورهم الطليعي في الحياة الأكاديمية قبل الحياة العامة أيضا ، بيد أننا لا نزال نرى في هذه الأستاذية ما تمثله مكانتها المتفردة في صدارة التخصصات الجامعية جميعا ، فهذه الأستاذية حين ينالها صاحبها عن جدارة تصبح في رأينا صاحبة المكانة المعنوية التي لا تعدلها مكانة أية أستاذية جامعية أخرى .



- حفني ناصف
- سيد على المرصفي
- أحمد ضيف
- محمد خلف الله أحمد
- على النجدي ناصف
- محمد مهدي علام